

جمالية التعبير عن طول الليل في الشعر العربي من العصر الجاهلي حتي نهاية العصر العباسي

طالب الدكتوراه أحمد كرمي

فرع اللغة العربية وآدابها - جامعة لرستان - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - إيران

الدكتور سيد محمود ميرزاي الحسيني (الكاتب المسؤول)

أستاذ مشارك وعضو الهيئة التدريسية - جامعة لرستان - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

- إيران

Mirzaei.m@lu.ac.ir

الدكتور علي نظري

أستاذ وعضو الهيئة التدريسية - جامعة لرستان - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - إيران

The aesthetic expression of the length of the night in Arabic poetry from the pre-Islamic era until the end of the Abbasid era

Doctoral student Ahmed Karami

Arabic Language and Literature Branch - University of Lorestan - College of
Arts and Humanities - Iran

Dr. Sayed Mahmoud Mirzai Al-Husayni (responsible writer)

Associate Professor and Faculty Member - University of Lorestan - College of
Arts and Humanities - Iran

Mirzaei.m@lu.ac.ir

Dr. Ali Nazari

Professor and faculty member - University of Lorestan - College of Arts and
Humanities - Iran

Abstract:

The night has been described by former Arab poets as long or short, then added it to the nouns and terms that demonstrated semantics and denotation on its longitude and brevity. They utilized the night with description that illustrated their grief over some nights and their joy and contentment over then other.

These poets have created beautiful image to describe it as long or short, and have mentioned reasons for its length and shortness that sometimes are concordant and occasionally differ. Some has described it as nights of youth as short, and the old age nights as long. Some poets have figured the night in some cities as short but in other cities as long, and others do not believe in night's longitude and shortness at all.

They provide some reasons for this disagreement and have composed poems about length and shortness of night moments that very often express their sentiment and sorrow over night, and created beautiful expression, versifications and imagination to demonstrate their joy and grief.

Since this study investigates the night longitude in Arab poetry from ignorant to the end of Abbasi era descriptively and analytically, it compiles some couplets night length at mention and era and then studies content and semantic transformation and rhetorical description.

Key words: the length of the night - expression - pre-Islamic poetry - Abbasid poetry - the employment of the night - the employment of stars.

الملخص :

وصف الشعراء العرب القدماء الليل بالطول والقصر وأضافوه إلى أسماء ومصطلحات ترمز إلى معانٍ و دلالات علي طول وقصره و تشف عنها، وخلعوا عليه أوصافاً تنبئ عن مقاساتهم الأحران في بعض لياليهم و معاناتهم فيه وقد تشي بسعادتهم وإعجابهم به، وقد رسم هؤلاء الشعراء لوصفه بالطول والقصر صوراً بديعة صريحة و موحية، وعزوا طول الليل وقصره إلى أسباب وعلل تختلف عن البعض أحياناً وتتوافق أخرى. ولهم في طول الليل وقصره آراء ومواقف تتألف مرة، وتباين أخرى؛ فبعضهم يصف ليالي الفراق بالطول و ليالي الوصل بالقصر. ومنهم من يستقصر ليالي الشباب ويستطيل ليالي المشيب. ومنهم من يعدّ الليل قصيراً في بلدة ويعتبره طويلاً في أخرى. ومنهم من لا يؤمن بطول الليل ولا يعترف بقصره أصلاً. ومنهم من يستطيل طول الليل وآخرون منهم يستكروهونه ويسأمونه. ولهم لهذا التباين في المواقف والاختلاف في الاتجاهات أسباب وعلل، ولتعبيرهم عن طول الليل وآراءهم في تطاول لحظاته وقصر ساعاته وتواني أماده ما يشف عن عواطفهم ويحسد هواجسهم أثناء الليل. ولما يخلقونه من لوحات فنية لتصوير معاناتهم وما يقاسونه من شجو و آلام ويتمتعون به من طرب وبهجة أثناء الليل تعابير وأساليب وصور تعبيرية تسترعي الوقوف عندها ودراستها.

فهذا البحث يتناول دراسة طول الليل في الشعر العربي القديم من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر العباسي، معتمداً على المنهج الوصفي التحليلي، متمثلاً في القيام بالبحث عن الموضوع الرئيس الذي يشتمل على الأبيات التي نظمها الشعراء في وصفهم الليل بالطول، ثم يهدف دراسة فحوي الأبيات ومضامينها والكشف عن أي تطور محتمل في مضامين و صور وصف هذا الليل والمعاني المستخدمة فيها في الفترة المحددة للبحث .

الكلمات الرئيسية : طول الليل - التعبير - الشعر الجاهلي - الشعر العباسي - توظيف الليل - توظيف النجوم .

المقدمة:

الليل بطوله وقصره وحلكته وصفاءه وهدوءه وسماءه المزينة بالمجرات و مصابيح النجوم مصدر زاهر استلهم منه الشعراء كثيراً من المواد لإثراء لغتهم الشعرية، منها طول الليل بما يحوي من مشاعر الإحساس بالأفراح والأتراح. فطالما عبر الشعراء العرب عن طول الليل و رعي النجوم فيه ومكابدة الهموم أثناءه بعدم زواله و عدم غروب النجوم فيه، أو تباطؤها في سيرها نحو المغيب، ومكوئها في أمكتتها وكأنها معلقة في أعالي السماء لا تتحرك. فقد جاء تخيل طول الليل وعدم مغيب نجومه نتيجة معاناة الشاعر في ما يعانيه من حب حرك عواطفه أو شوق هيج لواعجه أو حزن أثقل كاهله، حيث يبيت ليله متسهداً يكابد همومه مضني يقاسي آلامه، يخيل إليه أن الليل قد أزمع ألا ينقضي. فكلما نزل الليل بساحة الشاعر ازداد إحساسه بتزايد الهموم وتكالبها عليه، فكان له - وهو يجسد خواطره ويوح بمشاعره - أن يرمز إلي معانات يعيشها بالتعبير عن طول الليل ومراعاته، والسهر فيه، بأساليب بدیعة وصور جميلة مزدانة بتشبيهات واستعارات وكتابات يغني بها المعني المختلج في مكان صدره وينمقه. ولم تنحصر محاولة الشعراء لصوغ المعاني في قوالب بدیعية يصبون فيها أحاسيسهم ولواعجهم و يصبغونها بمختلف ألوان البديع تتلائم وتلك المعاني التي يرمون التعبير عنها فحسب، بل رقدوا تلك الصور والمعاني بتعابير ومصطلحات دالة علي طول الليل تزيد المعني حسناً والمضامين رونقاً. فقد وصفوا الليل بتعابير دالة علي الطول وأضافوه إلي أسماء لتصويره بالطول وشبهوه في جملة تشبيهات مادية ومعنوية تناسب طوله وتعاضده. فقد كانت هذه الصور و تلك المعاني تنبني في العصر الجاهلي علي أسس حسية مادية لا تعدو مشاعر الشاعر تجاه بيئته. لكنها لم تظل راكدة كما كانت عليها في العصر الجاهلي، بل تطورت واتسعت رقعتها وتحولت مواكبة تطور الحياة الاجتماعية والعقلية للشعراء في العصور التالية للجاهلي. فقد كان للعرب مصطلحات وتعابير وتسميات عديدة ليليالي من أول ليلة في الشهر إلى آخرها، و لهم فيها أمثال يتمثلون بها وأوصاف كثيرة يصفون

بها الليل يطول بنا ذكرها ولا يتسع لها مجال هذا المقال، لكننا سنقف أثناء البحث عند ما يدل علي طوله. وختاماً لهذه المقدمة الوجيزة، وتأسيساً لمنهجية البحث نحاول أولاً: تقديم خلفية البحث، ثانياً تقديم الأسئلة التي تهدف دراستنا هذه، الإجابة عليها علي النحو التالي:

١- الدراسات السابقة:

نُفَضِّلُ في ذكر الدراسات السابقة الإشارة أولاً إلي الموروث القديم وهو: كتاب الأزمئة والأمكنة للمرزوقي (المتوفي ٤٢١هـ) والذي أفرد فيه باباً سماه: في أقطاع الليل وطوائفه وما يتصل به ويجري مجراه، وكذا كتاب الأزمئة والأنواء لابن الأجدابي (المتوفي ٦٥٠هـ)، وفيه باب خصّه بأوقات الليل، والتحفة البهية للثعالبي (٣٥٠-٤٢٩هـ) الذي خصّ فيه فصلاً بالليل والنهار سماه: في وصف الليالي والأيام وأوقاتها والآثار العلوية، وأورد فيه بعض أشعار الشعراء في الليل عن كتاب من غاب عنه المطرب لنفس المؤلف، والذي بدوره أفرد الباب الثالث منه لأوصاف الليالي والأيام وأوقاتها.

ثانياً: المؤلفات والدراسات الحديثة المختصة بالليل في الشعر العربي: فقد تناول بعض الباحثين الليل بالبحث ودرسوه في جوانب عدة في أبحاث جامعية ومقالات أدبية؛ لكنهم لم تفردوا لطوله بحثاً، ولم ينحوا ما نحناه من دراسة طول الليل، ومواقف الشعراء منه، وأسبابها وأساليب وصور التعبير عنه في أشعار الشعراء، وكذا تطور تلك الصور والمضامين، وتخلص دراساتهم فيما يلي:

١- مقالة ذات عنوان: الليل وما يتصل به في الشعر الجاهلي لمحمود شكيب أنصاري و حسن دادخواه نشرت في مجلة العلوم الإنسانية عام ٢٠٠٥ الميلادي والتي تناول فيها الباحثان مواضيع مختلفة عن الليل في الشعر الجاهلي كليالي السرور والهموم وليالي الوصل واللهو واللعب والمنادمة والمسامرة وما إلي ذلك مما يرتبط بالليل، وقد ذكرا فيها الليل الطويل والتضجر منه، لكنهما لم يذكرا فيما خصاً به إلا ستة أبيات للمهلل وأربعة لامرئ القيس.

٢- الليل ودلالاته في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، رسالة قدمها مازن أحمد عثمان لنيل درجة الدكتوراه بجامعة تشرين سوريا عام ٢٠١٤ الميلادي والتي تناول فيها

الباحث بعض صور الليل كالقهر والهم والغربة و، صور الطيف والكرم ورثاء الأربة في الشعر الجاهلي، وأما في شعر صدر الإسلام فقد تحدث فيها عن الفكر الجديد في شعر الحواضر والبادية وشعرالفتن، ولم يتطرق فيها إلي العصرين الأموي والعباسي ولم يخص دراسته بطول الليل.

٣- توظيف الليل في الشعر العربي المعاصر، وهو بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه قدمه محمد صالح ناجي عام ٢٠١٣ بجامعة القاهرة، وهذه الرسالة قد خصصت بالعصر الحديث كما هو بين من عنوانها.

٤- أنسنة الليل في شعر ذي الرمة، مقالة قدمها عبدالكريم يعقوب و ديماس يونس نشرت بمجلة دراسات اللغة العربية وآدابها نصف سنوية محكمة، سنة ١٣٩٤ الهجرية الشمسية، علماً بأن الباحثين خصاً المقالة - كما هو واضح من عنوانها- بأنسنة الليل في شعر ذي الرمة، وأما ما قدمناه تحت عنوان طول الليل، فيختص بطول الليل، و موقف الشعراء من هذا الطول، وأسبابه والصور التي رسمها الشعراء للتعبير عنه، وتطور المضامين والمعاني والصور المستخدمة للتعبير عن طول الليل، من العصر الجاهلي إلي نهاية العصر العباسي، فيختلف عما قامت به الدراسات السابقة في الجوانب والنواحي التي أشرنا إليها.

٢- وأما أسئلة البحث فهي:

- ١: ما هي المعاني والصور التي عبر بها الشعراء عن طول الليل؟
 - ٢: ما الدوافع والأسباب التي دفع الشعراء إلي اعتبار الليل طويلاً؟
 - ٣: كيف كان تطور المضامين والمعاني والصور الشعرية في طول الليل بدءاً من العصر الجاهلي وختاماً بنهاية العصر العباسي ؟
- وللإجابة عن الأسئلة السابقة و توصلاً إلي أهداف البحث المرجوة نلقي نظرة علي التعابير الدالة علي طول الليل ثم نتطرق لمواقف الشعراء من طول الليل، وآراء هم فيه، والصور التي رسموها في تعابيرهم عن طول الليل. ولكي تغدو طريقة دراستنا للموضوع أكثر عملية، آثرنا أن يتمحور البحث كالآتي: ١- التعابير الدالة علي طول الليل ٢- المعاني والصور المستخدمة للتعبير عن طول الليل ٣- أسباب طول الليل عند الشعراء ودوافعه.

١- التعابير الدالة على طول الليل:

قد أضافت العرب الليل إلي بعض الأسماء والمصطلحات ووصفتها بأوصاف كثيرة، استخدم الشعراء بعضها للدلالة على طول الليل في نتائجهم الشعرية نقف عندها بالتمثيل والشرح وهي: ليلة التمام، وليلة تمّ، وتمام، وليلة الميلاد، وليلة الهجر وليلة المهجور وليل الحب وليل الضير وليل ثكول وليل السليم وليل الشتاء وليلة العقرب وليلة الصدف وليلة الهريسة، وقد وصفوه بيوم الحساب وظلّ الرمح واستخدموا لظوله بعض التعابير والمصطلحات كموت الشمس وتخليد القمر وتعابير ومصطلحات أخرى سنقف عندها أثناء البحث.

١-١: ليل التمام:

من التعابير الدالة على طول الليل هو ليل التمام. فقد استخدم الشعراء منذ العصر الجاهلي الليل موصوفاً ومضافاً إلي لفظة "التمام" للتدليل على طوله كما جاء في شعر امرئ القيس:

فَبِتْ أَكْبَدُ لَيْلَ التَّمَامِ وَالْقَلْبُ مِنْ خَشْيَةِ مُقْشَعِرٍ (١)

وقد ورد في كتاب "عشرة شعراء مقلّون" تشبيه الليل الطويل بليل التمام كقول نهشل بن حري:

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ مَا كَادَ يَنْجَلِي كَلِيلِ التَّمَامِ مَا يُرِيدُ أَنْصِرَامًا (٢)

والبحتري كذلك وصف الليل التمام بالمتطاول وتظلم من إعانة القمر إياه في ظلمه إذ قال:

أَيَا قَمَرَ التَّمَامِ أَعَنْتِ ظَلَمًا عَلَى تَطَاوُلِ اللَّيْلِ التَّمَامِ (٣)

فما ليل التمام؟ وما يعني الشعراء بالتمام عند وصفهم الليل؟ فقد جاء في المعاجم: «ليل التمام أطول ما يكون وهو أطول الليالي، ويعنون بها أكبر ليالي الشتاء. وهي ثلاث لا يُستبان نقصانها، أو هي إذا بلغت اثنتي عشرة ساعة فصاعداً. والتمام بالكسر لا غير. وهو أطول ليلة في السنة» (٤). وقال الأصمعي: ليل التمام في الشتاء أطول ما يكون من الليل...، وهي ليلة ميلاد عيسى عليه السلام، والنصارى تُعَظِّمُهَا وتقوم فيها. وحكى ثابت بن أبي ثابت عن أبي عمرو الشيباني أنه قال: ليل تمام إذا كان الليل

ثلاث عشرة ساعة إلى خمس عشرة ساعة. وقال الليث: ليل التمام أطول ليلة في السنة. وقال شمر: قال ابن شميل: ليل التمام في الشتاء أطول ما يكون الليل،....(٥) وكذلك وصفوا البدر بتمام وزعموا أن التمام بكسر التاء يختص بالبدر والليل وصفاً لهما دون غيرهما: «وبدر تمام بالكسر، وكذلك ليل تمام، وكل شيء بعد هذا تمام بفتح التاء» (٦) و«قال الأصمعي: لا يكسر التاء إلّا في الحمل والليل وما يجري مجرى المثل» (٧). وجاء في أدب الكاتب «ليل تمام بالكسر لا غير وولد تمام وقمر تمام بالفتح والكسر فيهما» (٨). وأما التمام بكسر التاء فقد وصفوا به الليل كما وصفوه بالتمام وتمام وقالوا «ليل تم» كما جاء في شعر الصولي وهو يمدح المتوكل والمنتصر العباسيين:

قمر طالع لليلة تم وهلال ينمي على الأنام (٩)
وقد ورد «التمام» وصفاً منكراً لليل في شعربعض الشعراء كقول ثابت قطنة العتكي من شعراء العصر الأموي حيث قال:
ألا يا هند طال عليّ ليلي وعاد قصيره ليلاً تماماً (١٠)

٢٠١: ليلة الميلاد:

وكذا سمّت العرب أطول ليلة في السنة بـ"ليلة الميلاد". وهي الليلة التي ولد فيها عيسى عليه الصلاة والسلام. وليلة الميلاد يضرب بها المثل في الطول. كما قال البخاري: عقلت بميلاد الصباح وإنها في الامتداد كليلة الميلاد (١١) ومن ذكر ليلة الميلاد التي تستخدم رمزاً للطول هو الصنوبري، لكنه علي عكس غيره من الشعراء، يري أنها لا تمتد أكثر من لحظة بالبصر. فليلة الميلاد بطولها وتطول ساعاتها ليست كما يراها غيره أطول ليلة في السنة؛ فهي عنده تماثل لحظة بصر لأنه ينظر إليها حقيقة النظر كما ذكر في قوله:

متى أنظر إلى ليلي الطويل حقيقة النظر
تعدل ليلة الميلا د عني لحظة البصر (١٢)

٢٠٢: ليلة الهجر أو المهجور:

ومن الليالي التي توصف بالطول ومكابدة الأحزان ومقاساة الأشجان ومرارة الأحوال وشدتها هي ليلة الهجر، أو ليلة المهجور، فإنها تماثل ليلة الميلاد طولاً عند

الباخرزي؛ فقد صورها بأنها ليلة شتوية مظلمة عقيم لا تلد صباحاً، وهي تمتد امتداد ليلة الميلاد:

في ليلة من هجرها شتوية ممدودة مخضوبة بمداد
عقمت بميلاد الصباح وإنها في الامتداد كليلة الميلاد (١٣)

٤.١ : ليل المحب:

فقد أكثر الشعراء من وصف ليل المحب بالطول. كما قال خالد الكاتب:
ليلي طويل وحزني مثله وكذا ليل المحب طويل حيثما كانا (١٤)
وقد أشاد الثعالبي بما وصف به خالد الكاتب ليل المحب إذ وصفه بأنه "بلا آخر"
قائلاً: وحصل خالد الكاتب على الغرة والنكتة حيث قال: (وليل المحب بلا آخر) (١٥)
ولم نثر عليه في ديوانه بل وجدنا في ديوانه المنشور بدمشق سنة ٢٠٠٦م البيت التالي:
ياليلة طالت علي ناظري كأنها كانت بلا آخر (١٦)
فقد ورد ما عزاه الثعالبي لخالد الكاتب في ديوان عباس بن الأحنف وهو قوله:
رقدت فلم ترث للساھر وليل المحب بلا آخر (١٧)

٥.١ : ليل الضرير:

وقد عبر بعضهم عن طول الليل بليل الضرير. فالضرير لا يبصر. فلا يختلف نهاره
عن ليله. فكأنه يعيش حياته كلها ظلمة الليل الخالك. ومن ذلك قول الوزير المغربي
حيث قال:

عهدي بنا ورداء الشمل يجمعنا والليل أطوله كاللمح للبصر
واليوم ليلي مذ غابوا فديتهم ليل الضرير فصبحي غير متظّر (١٨)
ويري ابوهلال أن هذا أبلغ معني في طول الليل من قول إمرئ القيس في معلقته،
حيث وصف الليل بموج البحر المرسى سدوله إلا إنه مبتذل اللفظ (١٩)

٦.١ : ليل نكول:

وقد أجاد ابن المعتز إذ جمع في بيت واحد وبكلمات موجزة عدة أوصاف
وتشبيهات تشف عما كان يروم في وصف طول الليل، إذ وصف الليل الطويل بليل

إمرأة تُكول باكية فقدت أعزَّ من لها في ليلةٍ طويلةٍ ضرير النجم لا يهتدي للمغيب، وأن صباحه مُتهم بالتقاعس، لا يزعم الاسفرار:

فبات بليلاً باكية تُكول ضرير العين مُتهم الصباح (٢٠)

٧.١: ليل السليم:

ومما يضرب به المثل في طول الليل والسهر فيه هو ليل السليم، «لأن السليم لا ينَام ليله لما به، ولا يترك والنوم إن غشيه النعاس، لئلا يسرى السم في بدنه، والعرب تعلق عليه الحلى وتسهره» (٢١) قال النابغة الذبياني:

فبت كَأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم الناقع
يسهد من ليل التمام سليمها لحلي النساء في يديه قعاقع (٢٢)

وقد زاد بعضهم في وصف شدة ليل السليم حيث وصف راقى الملدوغ فيه بالإعياء والإخفاق في مداواته السليم، فهذا هو ثابت قطنة العتكي يصف ليلته التي جافت الهواجس والأشجان فيها جنبه عن فراشه، بليل سليم نهشه أرقم أعياء الراقي مداواته: يا هند كيف بنصب بات ييكيني وعائر في سواد العين يؤذيني كأن ليلى والأصدقاء هاجدة ليل السليم وأعياء من يداويني (٢٣)

٨.١: ليل الشتاء:

ومما يتمثل بها للدلالة على الطول والبرد معاً ليل الشتاء و«ليل الشتاء يكتني به عن الطويل البارد» (٢٤) وهذا هو ابن عني يصف رقعة وصلته، بليل الشتاء طولاً:

وصلت منك رقعة أسأمتني وثنت صبري الجميل كليلاً
كنهار المصيف حراً وكرباً وليالي الشتاء برداً وطولاً (٢٥)

٩.١: ليلة العقرب وليلة الصد وليلة المهجور وليلة الهريسة:

ومما يضرب به المثل في طول الليل، ليلة العقرب وليلة المهجور أو ليلة الصد أي: ليلة تمنع المحبوبة، لأن صاحبها لا ينامها، فهي تتناول عليه جداً بما يعانيه من آلام وأوجاع، وقد استظرف بعضهم وزاد على ليلة المهجور وليلة العقرب القاسيتين ليلة الهريسة. يُقال «إن أطول الليالي ثلاث: ليلة العقرب وليلة الصد وليلة الهريسة وفي رواية مكان ليلة الصد ليلة العاشق» (٢٦). ومن طريف ما قيل في طول الليل ومرارته

ومقاساته، قول أبي الفتح كشاجم إذ يدعي أن ليلة من تجوع للهريسة أمر وأشد من ليل السليم الملدوغ ومن ليل العاشق المهجور، وليس غريباً أن يحفره انتظار طبخ الهريسة علي استطالة ليلته وهو يتصور جوعاً :

مَا لَيْلَةُ الْمَهْجُورِ بَاعَ — دَتِ النَّوَى عَنْهُ أَنْيْسَهُ
أَوْ لَيْلَةُ الْمَلْدُوغِ حَا — ذَرَمَتِ النَّفْسُ النَّفْسِ
بِأَمْرٍ مَنْ لَيْلِ الظَّرِّ يَفِ إِذَا تَجَوَّعَ لِلْهَرِيْسَةِ (٢٧)
وقد وصف الشعراء الليل بأسماء ومصطلحات وإضافوه إليها ترميزاً بهاعلي طوله وقصره نلحقها بالتعابير السالف الذكر تنمة لها وإكمالاً لسرد دلالاتها:

١٠.١: يوم الحساب:

وقد تمثل بعض الشعراء بـ«يوم الحساب» أي يوم القيامة للتدليل علي طول الليل كما قال أبو العتاهية وقد تصور ليل المهوم الحزين أطول من يوم القيامة: والليل أطول من يوم الحساب علي عَيْنِ الشَّجِيِّ إِذَا مَا نَوْمُهُ نَفَرَا (٢٨)

١١.١: ظل الرمح:

ومما تمثلت به العرب للتدليل علي الطول هو «ظل الرمح الذي يضرب به المثل في الطول» (٢٩) و علي العكس منه ظل الحصاة الذي يتمثل به للدلالة علي القصر وقد استخدمهما ابن المعتز للتدليل علي طول ليله وقصره كقوله: بُدِّلَتْ مِنْ لَيْلٍ كَظِلِّ حَصَاةٍ لَيْلاً كَظِلِّ الرُّمْحِ غَيْرِ مِثْلٍ (٣٠)

١٢.١: موت الشمس وتخليد القمر:

وقد يكتفي ابن المعتز عن طول الليل بغياب الشمس أو موتها وتخليد القمر كقوله: أَسْأَلُهَا أَيَّنَ الْكَوْنِ أَيْنَ النَّهَارِ الْمُنْتَظَرِ مَنْ مَخْبِرِي فَمَا أَرَى هَلْ دَامَ لَيْلٌ فَاسْتَمَرَ وَغَابَتِ الشَّمْسُ نَعَمْ فَكَيْفَ خُلِدَ الْقَمَرُ (٣١)

١٣.١: الليل حول:

ومنهم من وصف ليلة همومه بما حمل في طياتها من حزن وألم بالحوال طويلاً كقول إبراهيم بن هرمة:

أقاسي ليلة كالحول حتي تبدي الصبح منقطع البريم (٣٢)
وفي مسالك الأبصار «ومات الشمس» (٣٣)

٢: المعاني والصور المستخدمة للتعبير عن طول الليل:

قد لجأ الشعراء - وهم يتناولون مقاسة طول الليل بالسهاد والذكر - إلي توظيف النجوم والشمس للتدليل علي طول الليل وقد استخدموا الصباح والليل نفسه ليعبروا بهما عن طوله، وكان تصوير الأجرام السماوية وما يحمل من معانٍ ودلالات في طلوعها وغروبها، ترميزاً لسعادتهم وأفراحهم حيناً وتعبيراً عن تعاستهم وأتراحهم حيناً آخر، وتعبّر صورها عما قد يخامرهم من هموم في قرارات أنفسهم، وتبيح ما يكنونه من آلام وأشجان، ويعالجونه من وجد وحب، وقد خلقوا لها لوحات فنية بإضافة الليل إلي أسماء وأوصاف تقف عندها بالبحث والشرح كالآتي:

١-٢: توظيف الليل نفسه للدلالة علي طوله:

١-١-٢: تشبيه الليل بكائن له صلب وكلكل وأعجاز:

فقد شبه امرؤ القيس الليل في تعبيره عن طوله وأحواله بكائن له صلب وكلكل وأعجاز «وهو أول من أجاد وصف الليل، وأول من جود الاستعارة، وجعل الجماد كائناً حياً، وخلع عليه نعوت الأحياء ما تقتضيه إجادة التشبيه» (٣٤) فإنه شبه ظلام الليل في هوله وصعوبته وترادف ظلماته وطوله، بأمواج البحر، واستعار ليل صلباً، واستعار لطلوه لفظ التمطي، ليلائم الصلب، واستعار لأوائله لفظ الكلكل، ولما خيره الأعجاز» (٣٥) وقد استعار لفظ التمطي للدلالة علي طول الليل وعدم انقضائه «فقلت له لما تمطي بصلبه: أي تطاول لئلا ينقضي» (٣٦)

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطي بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل ألا انجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل (٣٧)
وقد تعرض التيفاشي للأبيات السابقة من شعر امرئ القيس حيث أورد قول أبي هلال فيها قائلاً: «قال العسكري: هذا من فصيح الكلام وأبدعه، شبه الليل بالبحر، و ترادف ظلماته بالموج، واستعار له سدولاً، لما يحول منه بين البصر وبين إدراك المبصرات» (٣٨)

٢-١-٢: تشبيه الليل برجل وقور غضبان:

ومن تناولوا طول الليل في شعرهم هو ابن طباطبا إذ شبه الليل وتمدده وثبوت نجومه، برجل وقور قد أخذ شيء من الغضب، وهو جالس على الأرض، ضام فخذه وساقه إلى بطنه بذراعيه، ليستند، فهو لا يتحرك ولا يجيب أحداً، ويشبه نجم ذاك الليل بدليل هاد لقومه قائم على مرتفع حيران، وقد واجه انسداد المذهب فلا يدري ما يصنع:

والليل راس كالحليم المحسبي
غضبان إن ناجيته لم يجيب
ونجمه قد لاح فوق مرقب
ذا حيرة كالديدبان المرتبي
يشكو إلى الأفق انسداد المذهب
والجو من شعاعه ذي طنّب (٣٩)

٣-١-٢: تشبيه طول الليل بتجني المحبوبة:

ومن ظريف ما قيل في طول الليل قول القاضي التنوخي حيث شبه طول الليل وبقائه وامتداد ساعاته، بتجني المحبوبة عليه لكثرة ما يتعرض له من صدودها وتمنعها وجفاءها وتماذياها في الصدود من جانب، ولتعاقب تداعيات التجني المحتملة على الجاني، وأعباءها عليه والتي قد يصعب التخلص منها من جانب آخر. فتجنيها عليه طويل وأعباء هذا التجني المحتملة قد تكون ثقيلة طويل المدي عليه كما يتناول ليل التنوخي:

رُبَّ ليلٍ كتجنيّ كقيمٍ ليس يذهب (٤٠)

٤-١-٢: تشبيه الليل الطويل بأعمى مقيد:

وقد ورد في كتاب التشبيهات قول بعض الشعراء في طول الليل، دون تسمية القائل، حيث شبه الليل الطويل بأعمى مقيد متحير في وادٍ قفريته فيه العابر، فلا يهتدي لمسيره، ثم عبر عن طول الليل بأنه موصول بليل آخر فلا ينقضي:

كأن بهيم الليل أعمى مقيد تحير في تيه من الأرض مجهل
كأن الظلام حين أرخى سدوله يبيت على ليل بليل موصول (٤١)

٥-١-٢: تشبيه الليل بالحرون:

وقد يشبه الليل الطويل بفرس أدهم حرون، و«حُرنت الناقة: قامت فلم تبرح، والحرون من الخيل ما لا ينقاد، وإذا اشتد به الجري وقف» (٤٢) فقد شبه أبو هلال الليل في وقوفه وإحجامه عن متابعة السير بالفرس الحرون:

ليلي لا يتغني براحاً كأنه أدهم حرون (٤٣)

٦-١-٢: تشبيه طول الليل بالحلف واليمين لكونها و تشبيه انقضائه بالحنث في

اليمين:

ومن طريف استخدامات المصطلحات للدلالة علي طول الليل، والتي لم يطرق لها الشعراء المتقدمون لعصر التهامي، هو توظيف مصطلح اليمين للدلالة علي طول الليل، ومصطلح الحنث في اليمين للدلالة علي انقضاء الليل وزواله، فالتهامي يصف طول الليل وكأنه آلي يميناً أن لا يزول، ثم يخاطب روحه وهو يصبرها ويطلبها بالتراعي نجوم الليل، ولا تهتم بها حتي يرغم الليل إلي الزوال، وقد كني عن زوال الليل وعدم ثبوته بحثه في يمينه أي بنقض حلفه. فإذا نقض الليل حلفه في الإقامة ولم يبر به، فقد زال و حل النهار محلّه:

وليل كسا الآفاق ثوب ظلامه وآلي يميناً في الإقامة يَمْكُثُ
ثَوِيْتُ وَقَلْبِي فِيهِ لِلَّهِمْ حَلَقَةٌ أَكْبَدُهُ وَالْخَوْفُ بِالنَّفْسِ يَبِثُ
أَصْبِرُ رُوحِي لَا تُرَاعِي وَاصْبِرِي سَيَدْرِكُهُ نَوْرُ الصَّبَاحِ فَيَحْنُثُ (٤٤)

٧-١-٢: تشبيه الليل في طوله بنفس العاشق:

شبه بعض الشعراء الليل في طوله بنفس العاشق وآهاته لما يسيطر عليه من الكآبة والحزن:

رب ليل أمد من نفس العا شق طولا قطعته بانتحاب (٤٥)

٢-٢ : توظيف النجوم تدليلاً علي طول الليل:

١-٢-٢ : تشبيه النجوم بجمال مشدودة:

فقد وظف امرؤ القيس النجوم في بطء حركتها للتعبير عن طول الليل مشبهاً إياها بجمال مشدودة بصخور. فنجوم الليل الطويل عنده في حركتها المتباطئة القريبة من

التثبت تشبه جمالاً شُدتْ بحال ملوية محكمة بصخور جبل "يذبل" فلاتزول ولا تبرح مكانها.

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت يذبل (٤٦)
وهكذا الحال عند الأعشي، فإنه كلف بمعشوقته «قتل» مشغوف القلب بها يعاني نأيها الذي جعله لا يغمض له جفن، فيستطيل ليله. فالأعشي في حبه يقاسي طول الليل و ثقّل حركة النجوم المقتربة من الثبات. فيخيل إليه أن النجوم ثابتة لا تتحرك. فيشبهها بجمال مشدودة بصخور بأمراس مفتلة أو أطناب ملوية محكمة، فهي تسرح وتدور وترعي ولكنها لا تبرح. فكُلما ظن الأعشي أن نجوم ليلته تميل إلي الغروب إذا بنجوم الثريا والسعود قد طلعت. فليله طويل، وكذا ليل كل محب طويل لا تغور نجومه:

كأن نجومها ربطت بصخر وأمراس تدور وتسريد
إذا ما قلت حان لها أفول تصعدت الثريا والسعود (٤٧)
وقد حذا بعض الشعراء حذو امرئ القيس في تمثله بالجمال المربوطة بالجبال، أو المشدودة بالصخور للتعبير عن بقاء حركة النجوم، لكنه خص نجوم بنات نعش، وشبهها بجمال، وتُمَي أن يكون لها حادياً يسرعها في سيرها نحو مغيبها ليزيد في سرعة زوال الليل وانقضاء ساعاته، لكن ليله موثوق الجوانب بأطناب محكمة لا يتحرك:

أراقب في السماء بنات نعش ولو أطيع كنت لهن حادي
كأن الليل أوثق جانباه وأوسطه بأمراس شداد (٤٨)

ولعل الأرجاني قد أخذ المعاني السابقة عن الشعراء المتقدمين لعصره، كامرئ القيس والأعشي والطرماح، لكنه لم يذكر مطلق النجوم بل خص الشهب منها، والشهب « يقال للكوكب الذي ينقض على أثر الشيطان بالليل: شهاب » و« والشهب: النجوم السبعة المعروفة بالدراري » (٤٩) فإن كان الشاعر قد نوي الأول فقد زاد في المعني، لأنه قد خيل إليه تسمير الكواكب المنقضة التي تنقض بأقصي سرعتها، وتسميرها كناية عن شدة تثبت نجوم الليل وتوقفها عن السير، وإن أراد الثاني أي: النجوم السبعة الدراري، فكذلك زاد علي ماجاء به متقدموه؛ لأن تسميرها وهي كواكب سريعة في سيرها يدل علي شدة مقاساة الشاعر وشدة استطالته الليل. فقد إشار ابن الأجدابي في

الأزمنة إلى سرعة مسير هذه الكواكب: «وهي: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد. وهي تسير كلها من المغرب إلى المشرق، ثم يحملها سرعة سيرها من المشرق إلى المغرب فتغيب بها ...» (٥٠)

تأوبني ذكر الأحياء طارقاً وليل في الأفق وقفة حيران
يخيل لي أن سمر الشهب في الدجى وشدت بأهدابي إلهن أجفاني (٥١)

٢-٢: تشبيه نجوم الليل بنياق عرج وطلانح:

ليالي سويد بن أبي كاهل الشكري - وهو من مخضرمي الجاهلية والإسلام - موصولة ببعضها، فإنها تدور كحلقة ربط طرفها، فما ينقضي منها حتى تطلع أخرى، فهو يستطيل الليل ويدي معاناته التي يعيشها ببطء حركة النجوم، وعدم مغيبها، حتى يمر عليه الوقت وكأنه قد قضى أكثر من ليل واحد. فليس له إلا أن يربط بين همومه وثقل حركة النجوم. فكلما تباطأت النجوم في حركتها، وتوانت في سيرها ازدادت هموم الشاعر، فيخيل النجوم كأنها نياق عرج تغمز في سيرها، وتعرج، فما أشقى السير وأبطأ إذا كانت النوق عرجاً تتحرك متباطئة في ليلة دكناء لا تزول ولا تنقضي!

وإذا ما قلت ليل قد مضى عطف الأول منه فرجع
يسحب الليل نجوماً ظلماً فتواليها بطيئات التبّع (٥٢)

وقد حذا ابن أبي حصينة حذو سويد الشكري في تشبيهه نجوم الليل الطويل في بطء حركتها بالنياق إلا أنه وصفها بالطلانح و«طلح البعير: أعيأ وتعب وهزل» (٥٣) والطيحة: الناقة التي أنهكها السير. ثم وصفها بأنها لا تردى ولا تخذ «وهما من الرديان والوخد» (٥٤) وهما ضربان من السير. فإذا لم ترد الناقة ولم تخذ فقد سار سيراً بطيئاً وثيداً.

يا ليل طلت وطال الوجد والكمد كلاهما مستمر ما له أمد
لا در درك من ليل كواكبها طلائح الخطو لا تردى ولا تخذ (٥٥)

وحسان بن ثابت الأنصاري من المخضرمين يشكو كغيره من الشعراء طول الليل، وقد رمز إلى طوله، ببطء اختفاء نجومه، لكنه يحذو حذو الجاهليين في صوغ المعنى وتصويره؛ إذ يشبه النجوم في إبطاءها وثقلها وقلة سرعتها في الحركة، بالإبل المتعبة التي

أضناها السَّفرُ فهي تجرُّ أرجلها وكأنها تسحبها وراءها، وهذا كناية عن شدة بطء حركتها (وزحف البعير: إذا أعيأ (٥٦) والزحوف من النوق: التي تجرُّ رجلها إذا مشت، (٥٧) واللغب جمع لاغب وهو من «اللغوب: التعب والإعياء» (٥٨)

تطاول بالجمان ليلي فلم تكن تهتم هوادي نجمه أن تصوبا
إذا غار منها كوكب بعد كوكب تراقب عيني آخر الليل كوكبا
غوائر تترى من نجوم تخالها مع الصبح تتلوها زواحف لغبا (٥٩)

وقد تأسّى ابن طباطبا - وهو من العباسيين - بمقدميه من شعراء الجاهلية والإسلام في استخدام المراكب المتعبة في ثقل حركتها ووقوفها تدليلاً على طول الليل، إذ شبه حركة النجوم المتباطئة نحو مغيبها ومكوئها في السماء بحلول الركب وإقامتها، لكنه زاد في المعنى إذ أرفق إناخة المراكب باستراحة ركبها. فقد شبه نجوم الليل بركب سارت مراكبه نهارها وقد أضناها المسير، وأنهكها المشي، فهي ألفت برحالها ليستريح ركبها:

كأن نجوم الليل سارت نهارها ووافت عشاء وهي أنضاء أسفار
وقد خيمت كي يستريح ركبها فلا فلك جار ولا كوكب سار (٦٠)

وأما جحظة البرمكي - وهو أيضاً من شعراء العصر العباسي - فقد وصف نجوم الليل الطويل بالحرون بخلعه بعض نعوت الدواب كالخيل عليها، و«حرّ البغل: وقف ولم يتقد، فهو وهي حرون، وحرّ بالمكان: لزمه ولم يفارقه» (٦١) فهذا الوصف يشبه ما تمثل به الشعراء منذ العصر الجاهلي من أوصاف النوق إذ وصفوا نجوم الليل بنياق مشدودة بجبال لا تبرح مكانها أو بمراكب أضناها السفر، فلا تستطيع مواصلة السير، ولكن جحظة زاد على ما جاء به القدماء في صفة طول الليل بوصفه الصباح بالمفقود، فضاغف معني طول الليل في إضافته فقدان الصباح إلى تباطؤ النجوم في سيرها، في تشبيه يعكس جزءاً من صور بيئته الاجتماعية، فقد شبه الصبح المعدم عنده، بالجود والوفاء المنعدين في مجتمعه. وذلك لتأثره بحياته وما قاساه من جشوبة الحياة؛ لأنه ولد عن أبوين فقيرين وعاش فقيراً معدماً (٦٢) وهذا قوله في صفة النجوم المتباطئة:

وليل في كواكبه حران فليس لطول مدتها انتهاء
عدمت تبلج الإصباح فيه كأن الصبح جوداً أو وفاء (٦٣)

٢٠٢: تشبيه نجوم الليل بالبواني:

وأما الأعشي الكبير فقد وصف نجوم الليل الطويل بالسوامك والبواني، والسوامك أي: المرتفعة، والبواني: في الأصل أضلاع الصدر وقيل الأكتاف والقوائم، وألقي بوانيّه: أقام بالمكان واطمئن وثبت (٦٤) وهي كلها كناية عن الثبوت والاستقرار. فالنجوم بوان أي ثابتة لا تتحرك، فهذا يعني أن الليل لا يزول: وَخَرَقَ مَخَوْفٍ قَدْ قَطَعْتَ بِجَسَرَةٍ إِذَا الْجَبَسُ أَعْيَا أَنْ يَرُومَ الْمَسَالِكَ قَطَعْتَ إِذَا مَا اللَّيْلِ كَانَتْ نُجُومُهُ بَوَانِي فِي جَوِّ السَّمَاءِ سَوَامِكَا (٦٥)

٢٠٤: تشبيه نجم الليل بالخيران:

وأما جرير فيطول عليه ليله حتى يخيل إليه أن الليل قد بدّل، أو كأنه حيران لا يهتدي لسبيله، وأنه مقيم لا يرح: أَبَدَّلَ اللَّيْلُ لَا تَسْرِي كَوَاكِبُهُ أَمْ طَالَ حَتَّى حَسِبْتَ النَّجْمَ حَيْرَانَا (٦٦)

٢٠٥: تشبيه الثريا بفرس واقف في مصامه:

وقد استخدم امرؤ القيس المصام وهو ما يطلق عليّ مرتبط الفرس "مصام الفرس و مصامته: مقامه و موقفه" (٦٧) ليكني به عن طول الليل وعدم غروب النجوم. فإنّ الفرس في مصامه يظلّ في مكانه ولا يبرح فيطول بقاءه إلّا أنه أضاف المصام إليّ نجم الثريا وعوض عن الربط والشدّ بالتعليق ليلائم النجم في علياه ومتعلّقه. كَأَنَّ الثَّرِيَّا عَلَّقَتْ فِي مَصَامِهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ (٦٨)

٢٠٦: تشبيه النجوم بالإبل و الصباح براع لم يعد إليّ بيته مع الليل:

ومن جميل الصور التي تنعكس فيها البادية بمسارحها ومراعيها و مراتبها ومباركها ومواشيها و رعاتها ما صورّه النابغة الذبياني في وصفه النجوم في مسرح السماء وكأنّها إبل ترعي في مراعيها وكذا تشبيهه الصباح براعي تلك الإبل وقد حلّ به الليل ولا يزمع العودة بها إليّ البيت؛ فهي لاتزال ترعي مسرحاً. فالنابغة إذا أراد وصف الليل بالطول شبه نجومه بالإبل، وكذا شبه الصباح براعي تلك النجوم (٦٩) ثمّ كني عن عدم انبلاج الصباح بعدم عودة الراعي إليّ بيته مع الليل. فإنّ راعي الإبل يسوقها في العودة إليّ مراتبها، وكلّ راعي إبل يعود إليّ أهله مع الليل، فإذا لم يرجع

الراعي إلي بيته بقيت الإبل مسرحة ترعي الكلاً، ولا تهتم بالعودة، فكذا الصباح مادام لا يزمع العودة إلي مطلعته لينبلج؛ فإن النجوم لا تغور، ويبست الليل لا يكف عن نشر ظلمته في كل واد وفج، بل يبقى يطول ساعاته، فلا صبح يشرق ولا شمس تبرز: كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بأب (٧٠)

٧٠٢: تشبيه بنات نعش بصوار تنعطف في الوادي:

وقد وظف بشر بن أبي خازم الأسدي - وهو من شعراء الجاهلية - نجوم بنات نعش للتعبير عن طول ليلته التي جفا النوم فيها عينيه. فبنات نعش لا تغيب مع النجوم، بل تبقى في جانب السماء إلي أن يهرها الصباح ويذهب بنورها «بنات نعش من أشد الكواكب اعتراضاً لأنها لا تغيب إلّا في بعض المواضع» (٧١) و«لأنها لا تغيب» (٧٢) فوظفها الشاعر ليرمز بها إلي طول ليلته، فكان الليل يدور و ينعطف كما تدور بنات نعش و تنعطف ولا تغور. فقد شبه بشر حركة بنات نعش بحركة الصوار وهي جماعة البقر إذ يرونها الصائد فتتفر وتجول في الوادي. والصوار «جماعة البقر وعطفها يعني: رأي شيئاً ففزع منه فراغ عنه» (٧٣)

أراقب في السماء بنات نعش وقد دارت كما عطف الصوار (٧٤)

٨٠٢: مرض كوكب الليل :

وأما أبو العلاء المعري فقد لجأ إلي أنسنة كوكب الليل، إذ جعله تدب فيه الحياة ، لكنه صورّه مريضاً قد حضره الموت ، وهو يلفظ آخر أنفاسه. فالشاعر بهذا يمهّد للتعبير عن طول الليل ، لأن المريض يفقده بعض قواه، فلا يتحرك كما يتحرك غيره من الأصحاء، والكوكب المريض لا يجري كما يجري غيره من الكواكب. فهذا كناية عن بطء حركته. وأما عن جانب الألفاظ فقد طابق أبو العلاء بين إبلال دجي الليل، ومرض الكوكب، و«أبل المريض: برأ» (٧٥) فقد وصف أبو العلاء كثافة ظلماء الليل ونقاءها، وخلوها من أضواء النجوم بصحة الدجي، و بطء حركة كوكب الليل بالمرض: أبل به الدجي من كل سقم وكوكبه مريض ما يعاد (٧٦)

وفي شرح البيت السابق قال البطليوسي: «فإنه شبه الليل، لقوة ظلامه، وأنه لانور فيه يتخلله فيضعف ظلمته، بالصحيح الذي لا سقم به، وجعل الكوكب كالمريض الذي يئس منه لمعنيين: إما لأنه قد سري حتي كل وأعيا لطول الليل، وإما لأنه قد غرق في بحر الظلام، فشبهه بالغريق الذي يجود بنفسه» (٧٧)

٢٠٩: تشبيه نجوم الليل بوفود وراء باب الغرب:

وابن المعتز يتصور نجوم الليل وكأنها وفود واقفة علي أبواب الغرب، وقد سدت عليه الأبواب، فتوقفت عن المسير نحو مغربها، وهذا من بديع التشبيهات وجديد المعاني التي وظفها ابن المعتز تدليلاً علي طول الليل. فإذا كانت أبواب الغرب مغلقة علي وفود النجوم فأني يمكنها الدخول في مغاربها، إذن ليس لها إلّا أن تقف وتنتظر، فلا يعني وقوفها وإقامتها في أماكنها إلّا أنها تبيت الليل لاتغرب فلا ينتهي الليل:

جَارَ هَذَا الدَّهْرُ أَوْ أَبَا وَقَرَاكَ الْهَمُّ أَوْ صَابَا
وَوَفُودُ النُّجُومِ واقِفَةً لَا تَرَى فِي الْغَرْبِ أَبْوَابَا (٧٨)

٢٠١٠: تشبيه نجوم الليل بنسور مقصوصة الأجنحة:

وقد يشبه ابن المعتز نجوم الليل الطويل بنسور قصص ريش أجنحتها، فلا تستطيع النهوض للطيران، فتبقي في أوكارها، وبقاء النجوم المشبهة بالنسور في أوكارها يعني بقاء الليل واستمراره وتمادي ساعاته:

أَقْصَتْ نُسُورُ نُجُومِ السَّمَاءِ فَلَمْ تَسْتَطِعْ نَهْضَةً لِلْمَغِيبِ (٧٩)

٢٠١١: تشبيه النجوم بالشعر الأبيض:

ومن التعابير الظريفة الرائجة في الشعر العباسي الدالة علي ثبوت نجوم الليل الطويل، وبقاءها وازديادها واحداً تلو الآخر، هو تشبيه النجوم بالشعر الأبيض في بقاءها علي بياضها، وتلائي أضواءها، وازديادها متزامنة ومتعاقبة، والتي كني عنها ابن الرومي بنجوم الشيب. والشعر إذا ما أخذ في الابيضاض وطلوع الشعرات البيضاء منه واحدة تلو الأخرى ازداد عددها وكثرت شيئاً فشيئاً، وكذا النجوم والكواكب تزداد أثناء الليل وتبقي متألئة كما تبقي الشعرات البيضاء ولا تزول، فازدياد النجوم وعدم مغيبها لا يعينان إلّا طول الليل :

رب ليل تراه كالدهر طولاً قد تنهى فلّيس فيه مزيد
ذى نجوم كأنهن نجوم الشـ شيب ليست تغور لنا بل تزيد (٨٠)

٢.٢.١٢: تشبيه نجوم الليل بمن أقام علي آثار الأحبة:

أما تشبيه نجوم الليل للتعبير عن طول الليل بمن أقام علي آثار الأحبة وأطلالهم متردداً مستمراً في تردده مواظباً عليه، فقد ورد في شعر ابن نباتة السعدي. فإنه حينما أراد الترميز إلي طول الليل شبه نجومه بحبّ علق قلبه بآثار أحبته و ما بقي من ديارهم يتردد فيما بينها لا يمكنه تركها كقوله:

تري الصبح من بعد الاحبة أسود أم الليل كانوا إن ليك سرمد
كأن نجوم الليل بعد فراقهم أقامت على آثارهم تتردد (٨١)

٢.٢.١٣: تشبيه الثريا بمن يقيس ما بين المشرق والمغرب:

وما أطول الليل إذا امتد، وتمدت ساعاته إلي أن تنتهي الثريا من شبر مسافة ما بين المشرق والمغرب، فقد شبه السري الرقاء نجم الثريا بمن يقيس مسافة ما بين الشرق والغرب شبراً ليعلم مداها. فإنا تري متي ينتهي هذا القياس بشبر هذه المسافة الشاسعة كي تنهي الثريا عمله وتركن إلي الغروب ليطلع الصباح:

كأن الثريا راحة تشبر الدجى لتعلم طال الليل لي أم تعرضاً
عجبت لليل بين شرق ومغرب يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا (٨٢)

٢.٢.١٤: تشبيه النجوم بدراهم مزيفة:

وقد يشبه ابن المعتز نجوم الليل الطويل التي لاتغيب، بدراهم رديئة مغشوشة مزورة لا تنقد؛ فالدراهم المغشوشة لا يتداولها الناس في التجارات والمقايضات، فتظل في مخازنها باقية راكدة غير رائجة، فكذا الليل يبقى راكداً تتناول ساعاته مادامت نجومه لاتسري نحو مغيبها:

كأن نجوم الليل في حجراته دراهم زيف لم يجزن على النقد (٨٣)
فقد تناول ابوهلال هذا البيت بالشرح قائلاً: «يريد أن نجومه واقفة، ليست تسير، فكأنها زيفت ليست تنقد» (٨٤)

٢.٢.١٥: تشبيه نجوم الليل بمواشٍ سدت عليها مسارجها:

وقد تكون ليالي بعض البلاد صعبة تطاول علي من يبيتها بطيئة حركة نجومها نحو المغيب، وهذا ما أشار إليه مهيار الديلمي في تشبيهه نجوم ليالي العراق في طولها وتثنيها بالمواشي، وقد استعار لمذاهبها نحو مغيبها مسارح الماشية وهي مراعيها، وقد سُدَّتْ عليها تلك المسارح والمراعي، فهي تظل واقفة في مراتبها لاتبرح مكانها، فمهما طال بقاء النجوم المشبهة بالمواشي في مراتبها طال مكوثها وبعد غروبها. وقد زاد في هذا المعني إذ خيل إليه أن الفجر قد صبغ بلون أسود، وقد خالط الليل وانضمّا إلي بعضهما فتشاكلا، فلا يتبين الصباح ولا يسفر:

ويا صاحبي أين وجه الصباح وأين غد صِفْ لعيني غدا
أسدوا مسارح ليل العرا ق أم صبغوا فجره أسودا (٨٥)

٢.٢: توظيف الصباح للتدليل علي طول الليل:

١٣.٢: تشبيه الصباح بمن ضل طريقه:

فقد أثار استعجاب بشار بن برد تمادي الليل في بقاءه وتطاوله عليه، ودفعته استطالته الليل إلي التسائل عن عدم تبلج الصباح، مستعينا بفعل "لايتوضح" ليدل به علي استمرار حلقة الليل وكأن الليل يتجدد للشاعر، وقد خيل إليه أن الليل موصول بليال آخر، أو أن الدهر كله ليل واحد سرمدى، فلجأ الشاعر في صياغة تصوير استمرار الليل وعدم طلوع الصباح بتشبيه الصباح بمن ضل طريقه لايهتدي لها.

خليلي ما بال الدجى لا ترحز وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل الصباح المستتير طريقه أم الدهر ليل كله ليس يبرح (٨٦)

و في نسخة أخرى من ديوانه قد ورد البيت التالي :

وطال علي الليل حتى كأنه بليين موصول فما يترحز (٨٧)

وقد روي التبريزي في شرحه أبيات سقط الزند لأبي العلاء المعري بيت شعر نسبته للإمام الحسين بن علي عليهما السلام حيث عبر به الإمام عن طول الليل بأنه موصول بليل آخر وهو:

كأن الليل موصول بليل إذا زارت سـكينة والربـاب

ثم قال: «وكانت الرّباب إذا زارت أهلها أخذت سُكينةً معها، فيطول الليلُ عليّ أزيد في اللَّيْلِ لَيْلٌ أُم سَالِ الصُّبْحِ سَيْلٌ» (٩٤)
الحسين بن عليّ بن أبي طالب» (٨٨) لكننا لم نعر عليه في ديوان الإمام عليه السلام.

٢.٣.٢: تشبيه الصباح بالخائف :

من بديع المعاني، وظريف الاستعارات التي أبدعها ابن المعتز، وقام خلالها بأنسنة الفجر، هو تشبيه الفجر بمن تهيب قسوة الليل، فأحجم عن الطلوع، وإذا أحجم الفجر عن الطلوع وتقاعس الصباح عن الاسفرار لم ينتج عنهما إلّا تمادي الليل في ساعاته وآثاته، وبهذا قد أبدع في تصوير طول الليل وإن خالف ما اصطلاح عليه القدماء في تسميتهم الليل بالمهزوم والصباح بالهازم وعكس، فإنهم قد اصطلاحوا علي تسمية الليل بالخائف والهابز من بطشة الصباح، لكنه عكس ووصف الليل بالهازم والصباح بالمهزوم (٨٩) وذلك قوله:

وَكأنَّ الفَجَرَ حِينَ رَأَى لَيْلَةً قَاسِيَةً هَابَا (٩٠)

٣.٣.٢: تشبيه الدجى بالشباب وضوء الصباح بالمشيب:

وللتعبير عن طول الليل يشبه ابوالعلاء الليل بسواد الشعر في أيام الشباب، ويكني عن طلوع الفجر وياض الصبح بالمشيب، متسائلاً متعجباً من استمرار مدي حلقة الليل التي كني عنها بشباب الدجى، وقد وكل بقلبه نجم بطيئة الحركة، وهذا من بديع المعاني في رعي النجوم، إذ وصف النجم بأنه موكل بقلب الشاعر، فقد كانت عادة الشعراء توصيف أعينهم أو أنفسهم برعي النجوم إذ كانوا هم الموكلين بالرعي وليست النجوم:

لَعَمري لقد وكل الظاعنون بقلبي نجماً بطيء الغروب

أقول وقد طال ليلى عليّ أما لشباب الدجى من مشيب (٩١)

٤.٣.٢: فقدان السحر وتعزية العشاء بفقده:

ومن المعاني المستجدة في العصر العباسي للتعبير عن طول الليل هو فقدان السحر وتعزية العشاء بفقده، فقد اتخذ مهيار الديلمي فقد السحر وموته وسيلة للتعبير عن طول ليلته. إذ طالت ليلته وتناولت عليه إلي أن خيل إليه أن السحر قد مات، فعزّي العشاء

بفقدته. والطريف من قوله هو تخيل ليلة سروره وتنعمه طويلة، وذلك علي عكس المعتاد من الشعراء الذين يستقصرون ليالي السرور، ويستطيلون ليالي الهموم. فإنه خالف الشعراء في نهجهم تقصير ليالي الوصال والسرور واستطالة ليالي الهجر والهموم. فرأي ليلة سروره والتي أولته بالتمتع باللقاء والوصال تمتد إلي أن ييأس الشاعر من طلوع السحر ويفقده فيعزي العشاء بفقدته.

ليلة ما رأتها أعين الغير لم ينج لي قبلها صفو من الكدر
كأنها ساهمتني في السرور بما أولت فطالت وعمر الليل في القصر
يشت من صباحها حتى التفت إلى وجه العشاء أعزيه عن السحر
كم يوم سخط صفا لي منه ليل رضى حتى وهبت ذنوب الشمس للقمر (٩٢)

٥٣٠٢ : الصباح فارق في بحر الليل:

وللتدليل علي طول الليل يقصد بعض الشعراء تشبيه الليل بالبحر وتشبيه الصباح بمن غرق فيه كقول ابن المعتز:

أول الليل منظوم بآخره ، الصباح ببحر الليل مغمور (٩٣)

٦٣٠٢ : الصباح سال به سيل:

ومما تدرج به الشعراء للتعبير عن طول الليل هو السيل الجارف. فإنه خير ذريعة تمسك بها علي بن الجهم للتعبير عن طول ليلته. وهل يوجد ما هو أقوى وأشد وقعا لتخليد الليل في نفس السامع المتلقي من وقع قوة سيل جارف يأتي علي الصباح ويمجته من فوق الأرض ويجرفه؟ وهذا بالفعل ما لجأ إليه الشاعر للتعبير عن استطالته ليلته القاسية، حيث قال في ليلة وفاته وهو جريح:

٧٠٢٠٢ : الليل بلا صباح:

وقد نري ابن المعتز يعبر عن طول الليل بأنه ليل بلا صباح وأنه لا ينتهي بغد:
مالي أرى الليل لا صباح له ما الليل إلا ليل بغير غد (٩٥)
ولعل ابن المعتز قد أخذ المعني السابق من ديك الجن الحمصي أو تأسي به حيث قال
ديك الجن :

كم ليلة فيك لا صباح لها أفنيته قابضاً علي كبدي (٩٦)

٤.٢: توظيف الشمس للتدليل على طول الليل:

١. ٤. ٢: مسخ الشمس كوكباً:

ويتفنن ابن المعتز في التعبير عن طول ليلاليه. فقد يوظف الشمس للتدليل على طول ليلته ويأتي بها ممسوخة قد فقدت طبيعته الخاصة وتحولت نجماً في عداد النجوم، فهي نجم يطلع مع النجوم في الليل فليس هناك شمس تطلع. فيظل الليل مستمراً ولا ينبج صباح ولا تطلع شمس. فالليل ليل لا انقضاء له ولا صباح بعده:

أقول وقد طال ليل الهموم وقاسيت حزن فؤاد سقيم
عسي الشمس قد مسخت كوكباً وقد طلعت في عداد النجوم (٩٧)

٢. ٤. ٢: فقدان الشمس:

وقد يعبر ابن المعتز عن طول الليل بفقدان الشمس. فإذا فقدت الشمس طال الليل واستمر، ولكن ليست كل ليلة لابن المعتز مفقودة الشمس، بل إنها ليل الصدود. فهو ليل طويل لا ينتهي بأسفرار صباح. فكأن شمس مفقودة يبحث عنها الشاعر ويستخير الليل عنها لعله يقف علي خبر عنها:

أين عنك الشمس يا ليل الصدود عني الصبر فقل هل من مزيد (٩٨)

٣. ٤. ٢: الليل الطويل هو نار الجحيم:

ومما أبدعه التوخي في طول الليل وهو معني ظريف، قوله إذ وصف الليل في طوله وشدة ما يقاسي فيه من آلام، بنار الجحيم التي لا يخرج منها من دخلها ملمحاً بالآية الشريفة ﴿عَلَيْهِمْ نَارُ مُؤَصَّدَةٍ﴾ (٩٩) وكذا وصفه الإصباح في تباطئه في اسفراره بأن الله قد أزقه بالحق فبطل ملمحاً بالآية الشريفة: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ

زَهُوقًا﴾ (١٠٠)

وليلة كأنها طول الأمل ظلامها كالدهر ما فهي خلل
كأنما الإصباح فيها باطل أزقه الله الحق فبطل
ساعاتها أطول من يوم النوى وليلة الهجر وساعات العذل
موصدة على الورى أبوابها كالنار لا يخرج منها من دخل (١٠١)

٤٤٢: الليل لا ترتحل عساكره:

وقد لا يكون تخيّلُ بطء حركات النجوم وتوانيتها في مسيرها نحو المغيّب، رافداً للشعراء يغني لغتهم الشعرية للتعبير عن طول الليل، بل نجد بعضهم يستعيض عن استخدام النجوم بعساكر الليل التي استعارها الشعراء لظلمات الليل. فقد نراهم يشبهون دوام الليل بعساكر مقيمة لا ترتحل كقول الفرزدق:

أدبٌ و دوني سيرُ شهرٍ كأنني أراك و ليلٌ مستحيرٌ عساكره (١٠٢)

وقد أخذ عليه ابوهلال في تشبيهه المحسوس بما ليس بمحسوس وإن استملحه قائلاً: «وهذا يستملح وإن لم يكن مختاراً من التشبيه لأن إخراج المحسوس إلى ما ليس بمحسوس في التشبيه رديء» (١٠٣)

٣- أسباب طول الليل:

وإننا لو توغلنا في مراجع الأدب ومصادره وبحثنا عما يجعل الشعراء يخالون لياليهم طوالاً لرأينا أسباباً تدفع الشعراء إلى تخيّل الليل طويلاً قد صرح الشعراء ببعضها في أشعارهم، و يتراءى بعضها في طيات قصائدهم ويتلوح دون التصريح بألفاظها، ولعل أهمّ دوافع استطالة الليل وأسبابها هو: هموم الشاعر الذاتية والاجتماعية، وخيبة أمل الشاعر في الحصول على متطلبات حياته، وفراق الأهل والأحبة، ورحيل المحبوبة، و سرور الشاعر، وبكاء الشوق توقفاً إلى زيارة، ومرارة العيش بنوائب الدهر، وكذا نفس الأرق ورعي النجوم، وعذل العذال وجفاء المحبوبة، والانتظار لميعاد أو وصال، وهناك أسبابٌ طريفةٌ تذرّع بها الشعراء كأنهزام الليل أمام النهار وآمال الحريص وما إلى ذلك تقدّمها ونقف عندها بالبحث والشرح كالآتي:

٣-١: إذا كان الليل الطويل بما يخبئ في مجاهل ظلمائه من هموم وأشجان وعواطف وانفعالات رمزاً لمعاناة الشاعر وتجاربه الذاتية إلّا أن هناك أسباباً غير ذاتية تطوّل ليالي الشعراء، ولم يعالجها إلّا القلة القليلة منهم، منها اهتمام بعضهم بما يجري حوله في مجتمعه، كما جري لأبي طالب عم الرسول ﷺ، إذ نراه وقد عاني تجربةً مرّةً قد أسهم في خلقها هم جعله يعبر عنه مصوراً الليل بالطول وعدم الانقضاء. فليس اهتمام أبي طالب عم الرسول بالغانيات الحسان، ومغازلتهم ورعيه النجوم

لصدودهنّ أو نأيهنّ أسباباً طوّلت ليلاليه، وإنّما طوّل ليلته همّ لقلّما عالجه غيره من الشعراء اللهمّ إلّا النزر القليل، وهو همّ قدسيّ ممّجّد أقصّ مضجعه، فقد أهمّه لعب قصيّ بأحلامها ونفيها بني هاشم وافتراءها علي رسول الله بخلف الحديث وضعف السبب:

تَطَاوَلْ لَيْلِي بِهِمْ وَصَبَّ وَدَمَعُ كَسَحِ السِّقَاءِ السَّرْبِ
لِلْعَبِ قُصَيِّ بِأَحْلَامِهَا وَهَلْ يَرْجِعُ الْحَلَمُ بَعْدَ اللَّعْبِ
وَنَفِي قُصَيِّ بَنِي هَاشِمٍ كَنَفِي الطُّهَاءِ لَطَافِ الْخَشَبِ
وَقَوْلِ لِأَحْمَدَ أَنْتَ أَمْرٌ خَلُوفُ الْحَدِيثِ ضَعِيفُ السَّبَبِ
وَإِنْ كَانَ أَحْمَدُ قَدْ جَاءَهُمْ بِحَقٍّ وَلَمْ يَأْتِهِمُ بِالْكَذِبِ (١٠٤)

٢-٣: وقد يكون تخيل طول الليل عندهم ناتجاً عن فقد حبيب بموت أو قتل مما يجعلهم يبيتون الليل متسهرين متأوهين علي فقده. وهذه العلة في تخيل طول الليل والتي قد طغت علي آثار الجاهليين لا تقل شأنًا عما ينتج من فقد المحبوبة من هم يطول ليلهم وأرق يقض مضاجعهم، ومن ذلك قول ثابت قطنة العتكي حيث قال:

أَبِي طَوَّلَ هَذَا اللَّيْلُ أَنْ يَتَصَرَّمَا وَهَاجَ لَكَ الْهَمُّ الْفُؤَادُ الْمُتَيْمًا
أَرْقَتْ وَلَمْ تَأْرُقْ مَعِيَ أُمُّ خَالِدٍ وَقَدْ أَرْقَتْ عَيْنَايَ حَوْلًا مُجْرِمًا
عَلَى هَالِكِ هَذِهِ الْعَشِيرَةِ فَقَدَهُ دَعَتْهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ وَسَلَّمَا (١٠٥)

٣ - ٣: وإذا كانت تجربة الشاعر الذاتية بما يعالج من همّ وغم هي الحجر الأساس لسهره واستطالته الليل، إلّا أنّ هناك من قد خالفهم أحياناً في ذلك، واعتبر السرور سبباً لطول الليل، وهذا من طريف ما ابتدعه الشعراء العباسيون كما فعل ابن المعتز في قوله:

قُمْ وَأَسْقِنِي يَا خَلِيلِي مِنْ الْمُدَامِ الشِّمُولِ
قَدْ زَادَ فِي اللَّيْلِ لَيْلٌ وَطَابَ ظِلُّ الْمُقِيلِ (١٠٦)

٣ - ٤: وقد يكون السبب في تخيل الليل طويلاً عكس ما يكون عليه قاطبة الشعراء ممن يعانون آلام نأي الحبيب أو صدوده، فهذا هو الفرزدق نراه لا يؤمن بطول ساعات

الليل ولا يأرق الليل مكابدة فقد محبوبته ورحيلها في أظعان الحي، بل يري أن بكاء الشوق هو ما يسهد العاشق ويجعله يخال ليله طويلاً:

يقولون طال الليل والليل لم يطل ولكن من يبكي من الشوق يسهر (١٠٧)
وقد أضاف ابن دريد الأزدي فقد النوم إلي ألم الشوق في قوله:

رُبَّ لَيْلٍ أَطَالَه أَلَمُ الشَّوْقِ وَفَقْدُ الرُّقَادِ وَهُوَ قَصِيرُ (١٠٨)

٣ - ٥: وإذا كان الليل يبدو قصيراً بالنسبة للشاعر الذي يعالج طيب حياته ويلتذ بلذاتها، فإن هذا الليل على العكس يمتد إذا طرأ له ما يعكر صفو حياته ويعد عنه السعادة والسرور، فكل ما حرم الشاعر من الفرح والجدل يجعله يستطيل ليلته. وهذا بالفعل ماجري لأبي فراس الحمداني وهو يقاسي آلام الأسر، ويعاني تمدد ساعات الليل وآنائه وتباطئ نجومه في مسيرها نحو المغيب:

وأسرأ أقاسيه وليل نجومه أري كل شيء غيرهن يزول
تطول بي الساعات وهي قصيرة وفي كل دهر لا يسرك طول (١٠٩)

٣ - ٦: ومن جميل أسباب استطالة الليل عند الشعراء ما أبدعه أبو العلاء المعري حيث عزا طول الليل إلي انهزامه أمام الصباح وتغيير الناس إياه بهذا الانهزام والفشل. فإن أبا العلاء عند وصفه طول الليل يخلع عليه أوصاف محارب مقاتل في ساحة المعركة قد انهزم ولاذ بالفرار خوفاً من محارب آخر وهو الصباح، ثم رجع إلي المعتك وتثبت لكيلا يعيره الناس بالفرار، فعاد وبقي مقاوماً ثابتاً في المعركة فطال. فهذا هو السبب في طول الليل كما خيل له:

وليل خاف قول الناس لما تولى سار منهزماً فعادا (١١٠)

وهذا من جديد ما أبدعه الشعراء العباسيون حيث زادوا علي معني عودة الليل للدلالة علي طوله وأسباب هذا الطول، معني جديداً وهو خوف الليل من التعبير بالهزيمة «وهذا معني مفقود، لأنهم قد وصفوا الليل بأنه يطول فيكون كالعائد إلّا أنهم لم يذكروا الهزيمة» (١١١) و«العرب تشبه الصباح بالهائم والليل بالمهزوم» (١١٢) وقد ذكر بعض الشعراء هزيمة الليل أمام النهار كقول الفرزدق:

والشيب ينهض في السواد كأنه ليل يصيح بجانيه نهار (١١٣)

٧-٣: وأما الحارث بن خالد فيري الليل طويلاً علي كل عين ساهرة لاتنام ليلته و«ذكر عمر بن شبة أن الأصل في ذكر الليل الطويل بيت الحارث بن خالد» وهو :
تعالوا أعينوني على الليل إنه على كل عين لا تنام طويلاً (١١٤)
وهذا المعني أي السهر قد كني عنه الأرجاني بقصر الجفون في قوله:

دون الخيال ودون من تشأقه ليل يطول علي جفون تقصر (١١٥)

٨- ٣: وهناك ظاهرة اعتادها الشعراء كثيراً نجدوها في الشعر العربي القديم، والتي تطفو أحياناً بملاحمها علي دياجة سيما شعر الأقدمين هي التشكي من طول الليل و«الشكاية من طول الليل والتضجر منه من شنشنة الشعراء والمحبين» (١١٦) وقد لا يكون السبب في استطالة الليل والتشكي منه فراق حبيب بموته أو نأيه برحيل في أظعان الحي ، وإنما عدل العذال هوما يبعث علي التسهد واستطالة الليل، كما حصل للبحثري إذ لاموه علي طول ليله فما زاده إلا طولاً:

لاموا علي ليلي الطويل وكلماً عادوا بلوم كان ليلي أطولاً (١١٧)

٩- ٣: النائم لا يستطيل الليل ولا يستقصره بل العاشق الساهر هو من يتناول عليه الليل كما قال ديك الجن:

من نام لم يدّر طال الليل أم قصراً لا يعرف الليل إلا عاشق سهر (١١٨)

١٠- ٣: قد يكون الانتظار سبباً في تطويل ساعات الليل لمن كان علي ميعاد في الصباح ينتظر أو أنه، فإن الانتظار يطول ليلته كقول الشاعر:

يا ليلة طالت علي عاشق منتظر في الصبح ميعاداً

كادت تكون الحول في طولها إذا مضى أولها عاداً (١١٩)

١١- ٣: ومما يبعث علي استطالة الليل هو نفور النوم من عيني المكتتب، فما أصعب ليلة من أهاجته الذكري، وتملكه الهم وأشجاءه، ولم يجد له من الهموم مخرجاً، فينفر نومه كما ينفر قطع الأرام إذ راعها الصائد المباغت؛ فلاينام الشجي المكتتب، فيؤول به الأسى إلي استطالة ليلته، وقد يخيلها أطول من يوم الحساب كقول أبي العتاهية:

يارب ليل طویل بت أرقبه حتى أضاء عمود الصبح فانفجراً

ما كنتُ أحسبُ إلّا مُذ عَرَفْتُكُمْ أَنّ المَصْاجِعَ مِمّا تُثَبِّتُ الإِبراً
واللَّيْلُ أَطْوَلُ مِنْ يَوْمِ الحِسابِ على عَيْنِ الشَّجِي إِذا ما نَوْمُهُ نَفَرَا (١٢٠)
١٢-٣: ولعلّ الحبّ وما ينتج عنه هو أمّ الباب في إطالة الليل ورعي نجومه وقسوة همومه
وهو الفائز بقصب الرهان إذا قارناه بغيره من العلل والأسباب؛ فليل الحبّ
العاشق لا تنقضي ساعاته وفي ذلك يقول ابن المعتز:
ألا مبالَ ذا الليل لا ينقضي كذا ليل كلِّ مُحِبٍّ يطولُ (١٢١)
١٣-٣: فقد يكون إرادة المعشوق هي التي تطول الليل، وهذا هو بشار بن برد يري تخيل
الليل طويلاً جفاءً وظلماً. فالليل يسير وفقاً لسنن الكون، فلا يطول ولا يقصر،
وإنما عزيمة المعشوق هي التي تقضي بتقصير ليل العاشق أو تطويله. فيقصّر ليلته
إن نوي زيارته وألم به، ويطوله إن نأى عنه وبعد:
لا أَظْلِمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي أَنّ نُجُومُ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَغُورُ
لَيْلي كَمَا شَاءَتْ فَإِنْ لَمْ تَزُرْ طَالَ وَإِنْ زَارَتْ فَلَيْلي قَصِيرُ
تُصَرِّفُ اللَّيْلَ على حُكْمِها فَهُوَ على ما صَرَفْتَهُ قَدِيرُ (١٢٢)
لكنّ بشاراً متأرجحاً بين أن يقرّب صفة أنظمة الكون وجريانها على نوايسه في نظام
الليل والنهار وبين أن يعترف بطول الليل وقصره. فبينما نراه يعترف بأن الدُّجى لا تطول
أكثر مما هي عليه من سنن الكون والحياة، وإنّما الهموم هي التي تجعل الشاعر يخيل إليه
أن ليلته تدوم ولا تنقضي:
كَأَنَّ الدُّجى زادت ومازادت الدُّجى ولكن أطالَ اللَّيْلَ همٌّ مَبْرَحُ (١٢٣)
إذ نجدّه يقرّ بطول ليله الذي طوله جفاءً شادنٍ فتَنَ بشاراً بسحر أجفانه، ولعبَ بلبّه
بنعومة أطرافه ولطافة بنانه؛ فأطال ليله بل أطال سهره فيه:
طَالَ هَذَا اللَّيْلُ بَلْ طَالَ السَّهْرُ وَلَقَدْ أَعْرِفُ لَيْلي بِالْقَصْرِ
لَمْ يَطُلْ حَتَّى جَفَانِي شَادِنٌ نَاعِمُ الْأَطْرافِ فَتَانُ النَّظَرِ (١٢٤)
وقد يصرح بأن سواد لون ليل العاشق وحلّته لا ينفد لأنّه موصولٌ بسوادٍ آخر يتبعه
واحداً تلو الآخر فلا ينقضي هذا الليل:
تَبَيَّتْ تُراعى اللَّيْلُ تَرْجُو نَفادَهُ وَلَيْسَ لِلَّيْلِ العاشِقِينَ نَفادُ

تَقَلَّبُ فِي دَاجٍ كَأَنَّ سَوَادَهُ إِذَا انْجَابَ مَوْصُولٌ إِلَيْهِ سَوَادُ (١٢٥)
١٤-٣: وأخيراً يدعي بشار أن مراعاة الليل نفسها هي التي تطول ساعاتها. فمن اهتم
بالليل، وانشغل بحديث النفس ومراعاة النجوم طالت ليلته، وطار النوم من عينه:
يَطْوِلُ اللَّيْلَ مُرَاعَاتُهُ فَكُلُّ أَمْرٍ لَا يُرَاعَى قَصِيرُ (١٢٦)
وقد عبر أبو نواس عن سبب تطويل الليل الذي عزاه بشار إلي مراعاة الليل
بـ«التنجم» وهو أن تبيت ترعي النجوم، فقد اعتبره ابونواس سبباً لطول ليلته مثلما فعل
بشار. وفي ذلك يقول ابونواس:

وما يعرف الليل الطويل وغمه من الناس إلّا من تنجم أو أنا (١٢٧)
١٥-٣: و من الشعراء الذين يرون تطويل الليل ناتجاً عن جفا المحبوب وصدوده ويعزون
قصره إلي زيارته، ابوفراس الحمداني حيث يقول:

إن زار قصّر ليلي في زيارته وإن جفا أطال الليل أعماراً (١٢٨)
١٦-٣: ونأي المزار وشطّ النوي من الأسباب التي عدّها الأبيوردي تطوّل الليل كقوله:
ذَكَرْتُكَ يَا ظَبِي الصَّرِيمِ وَلِلدُّجَى عَلَيَّ سُودٌ وَالْدُمُوعُ هُمُومٌ
أَرَاكَ بِقَلْبِي وَالْمَهَامُوهُ يَنْتَبِها وفي الليل مُدْ شَطَّ النوى بك طول (١٢٩)
وقد عزا بعض الشعراء من سبقوا عصر الأبيوردي طول الليل وقصره إلي الفراق أو
الوصال منهم عمر بن ابي ربيعة في قوله:

وَأَنْ اللَّيَالِي طُلْنَ مِنْذُ هَجَرْتَنِي وَكُنَّ قِصَاراً قَبْلَ أَنْ تَتَصَدَّعا (١٣٠)
١٧-٣: وقد يخرج ابن طباطبا عن المعهود والمعتاد من الشعراء فيما يذكرونه من علل
طول الليل وأسبابه من ألم أو وجد لنأي حبيب وفراقه ومن توقٍ إلي لقاء أو إلمام
وغيرها مما يتصوره الشعراء أسباباً لطول الليل. فيأتي بمالم يتطرق إليه المتقدمون
عليه من الشعراء قائلاً: إن آمال الحريص الطامع الجشع وأطماعه هي التي تطوّل
الليل :

وتنوفة مدّ الضمير قطعته والليل فوق أكامها يتربع
ليل يمدّ دجاء دون صاحبه آمال ذي الحرص الذي لا يقنع (١٣١)

٣- ١٨: وقد يأتي تخيل طول الليل خارجاً عن أغراضه المألوفة والمعهودة من الشعراء في الغزل والتشبيب والتشكي وما إلي ذلك، بل يأتي في إطار المدح، وهذا من المعاني والصور الطريفة التي استجدها العباسيون كما فعل ابن غليون الصوري في مدحه أهل البيت عليهم السلام:

ما طَوَّلَ الليلَ القصيرا ونَهَى الكواكبَ أن تَغُورا
إلا وفي يَدِهِ عَزِيْ — ماتَ يحلُّ بها الأمورا (١٣٢)

٣- ١٩: الصباح لا يجرو على الطلوع:

لا يطلع الصباح بتباشيره ليبدد جنود الليل الخالك ويطردها وتحل محلها إشراقة صباح منير، فتستتير الآفاق بقدميها، مادام أبو الطيب المتنبي يبيت بعزم لايلين، كبطل مغوار يتهيب منه العدو ويتقيه ويخاف أن يبرز أمامه في سوح المعارك ومعترك الأقران. والليل لا يتطاول على المتنبي ولا يسهده ولا يؤرقه كفعلته في العشاق. ولا تقيد نجومه بأمراس مفتلة، كما قيدت لامرئ القيس والأعشي. فلطول الليل عنده سبب يختلف عن أسباب استطالة ليالي غيره من الشعراء. وليس هو إلا عزم المتنبي الذي يطول الليل، لأن الصباح يهابه ولا يقترب منه. فهو يصف الليل وطوله وشعوره إزاء عزمه وكأن الصباح لا يطلع لأنه قد فرّ هارباً غير آتب من عزم المتنبي وإرادته. فالصبح عنده قرن بارزه في المعترك عزم المتنبي، فهرب خائفاً من المتنبي تاركاً المعركة غير راجع إليها. فهو يخاطب عزمه عند وصفه طول الليل والفجر مفتخراً بعزمه قائلاً:

أعزمي طال هذا الليل فانظر أمنك الصبح يفرق أن يؤوبا؟ (١٣٣)

النتائج:

أهم ما توصل إليه البحث هو:

١. كان تخيل الليل طويلاً ناتجاً عن مقاساة الشعراء لآلامهم وهمومهم. فاتخذ معظم الشعراء مادةً لتصوير تجاربهم الذاتية إلا أن بعضهم قد وظف طول الليل للتعبير عن همومه الطارئة عن دوافع موضوعية جرّاء شعوره تجاه مجتمعه وما يدور حوله كما فعل ابوطالب عم الرسول ﷺ.

٢. من أهم أسباب استطالة الليل عند الشعراء منذ العصر الجاهلي - هو هموم الشاعر وما يكابده من آلام وأحزان، لكن الأسباب والدوافع تطورت في العصر العباسي؛ فخلق الشعراء لطول لياليهم - إضافة علي ما ورثوه من متقدميهم - أسباباً طريفة تواكب الحياة الجديدة والعقلية الجديدة للشعراء لم يتطرق إليها الشعراء قبل العصر العباسي، منها: إرادة المعشوق، وآمال الحريص، وعزم الشاعر وهيبته إرادته، وخوف الليل من تعبير الناس إياه لهزيمته أمام الصبح، وكذا نفس مراعاة الليل الذي وصفه بعضهم بالتنجيم، ودوافع أخرى قد اندرجت في طيات البحث. وقد أبدع بعض الشعراء العباسيين إذ سمى الليل بالهازم والصبح بالمهزوم وأنه خالف في ذلك ما كانت عليه العرب؛ فإنهم قد اصطالحوا علي تسمية الليل بالخائف والهابط من بطشة الصباح، لكنه عكس وصف الليل بالهازم والصبح بالمهزوم وزعم أن طول الليل إنما يحدث بسبب تهييب الصباح من الليل وإحجائه عن الطلوع خوفاً من بطشة الليل.

٣. كانت التجربة الذاتية للشاعر بما يعالج من هم وغم هي الأساس لتخييل الليل طويلاً، لكن هناك من خالف الشعراء في ذلك وجعل ليالي الوصل والسرور بتمتعه باللقاء قصاراً - كما فعل ابن المعتز والمهيار - عكس ما كان قد اصطالح عليه الشعراء الذين يرون ليالي السرور قصاراً وذلك من المعاني البديعة المستجدة.

٤. كان وما زال تخييل طول الليل خير مادة لتعبير الشعراء عن همومهم ولكن منهم من اتخذ وسيلة للمديح كما فعل ابن غليون الصوري في مديحه لأهل البيت عليهم السلام.

٥. كان الشعراء في العصور الأولى للأدب العربي يشبهون طول الليل تشبيهاً حسياً ساذجاً يلائم بيناتهم كشبيهم النجوم في مكوثهم بنياق مشددة بالصخور أو قطع من البقر تدور في مراتعها، لكنهم في العصر العباسي أدخلوا في تشبيهاهم - إضافة علي ما ورثوه من سابقهم - المعاني والصور الجديدة التي تسير تطور أنظمة الحياة الاجتماعية والآداب والعلوم الجديدة. فقد كانت التشبيهات والأوصاف في العصور المتقدمة للأدب العربي تنبني علي أسس حسية مادية لا تعدو حدود مشاعر الشاعر تجاه بيئته. لكنها تطورت مضامينها وصورها في العصر العباسي ليضاف علي ما ورثه

الشعراء من متقدميهم الصور والمضامين والتعبير الحديثه التي تواكب الحياة الجديدة للشعراء وبيئاتهم. فقد عبروا عن طول الليل بما لم يتطرق إليه الشعراء المتقدمون للعصر العباسي منه : تشبيه نجوم الليل في ازديادها وعدم زوالها بشعر المشيب الأبيض الذي يزداد يوماً بعد يوم ولا يزول و تشبيه نجوم الليل لترثها وعدم زوالها بمن يتردد علي أطلال الأحبة وآثارهم. وكذا التعبير عن دوام الليل بمسح الشمس، وفقدانها وموتها، ويمين النجوم لعدم غروبها، وانهزام الليل في مقابلته الصباح، و أن الليل نارالجحيم المؤصدة، وماإلي ذلك من التشبيهات والاستعارات والتعبير المندرجة في طيات البحث.

٦. كانت النجوم في حركتها المتباطئة مادة استلهاهم لقاطبة الشعراء يوظفونها للتعبير عن طول لياليهم.

هوامش البحث

١. ديوان امرئ القيس؛ ٢٠٠٤ م: ٥٦

٢. حاتم الضامن؛ ١٩٩٠ م: ١٢٩

٣. ديوان البحري، لاتا: ٢٠٣٠

٤. المحبي، ٢٠٠٣ م: ٢٦٦٥ و الجوهري، ٢٠٠١ م: ١٣٦

٥. الجوهري، ٢٠٠١ م ج ١٤: ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ ﴿مادة ت م م﴾

٦. ابن دريد؛ ١٩٨٧ م، ج ١: ٨٠ ﴿مادة ت م م﴾

٧. المرزوقي، ١٩٩٦ م: ٤٣٥

٨. ابن قتيبة، لاتا، ٣١٨

٩. الجرجاني، ١٩٢٧ م: ١٣٧

١٠. ديوان ثابت قطنة العتكي؛ لاتا: ٦٠

١١. ديوان الباخري، ١٩٩٤ م: ٩١

١٢. ديوان الصنوبري، ١٩٩٨ م: ٥٠

١٣. ديوان الباخري، ١٩٩٤ م: ٩١

١٤. ديوان خالد الكاتب، ٢٠٠٦ م: ٤١٦

١٥. الثعالبي، ١٣٢٦ هـ: ٥٠٩

١٦. ديوان خالد الكاتب، ٢٠٠٦ م: ١٥١

١٧. ديوان عباس بن الأحنف؛ ١٩٥٤م : ١٥٤-١٥٥
١٨. ديوان الوزير المغربي، ١٩٩٨م: ١٣٤
١٩. العسكري، ١٩٩٤م: ٣٣٦-٣٣٧
٢٠. ديوان ابن المعتز، لاتا، ج: ١، ٢٤٣
٢١. المحبي، ٢٠٠٣م: ٢٦٦٥
٢٢. ديوان النابغة الذبياني، ١٩٩٤م: ١٢٢-١٢٣
٢٣. ديوان ثابت قطنة العتكي، لاتا: ٦٤
٢٤. المحبي، (٢٠٠٣م): ٢٦٦٦
٢٥. ديوان ابن عَنين، لاتا: ٢٣٥
٢٦. الثعالبي، ١٣٢٦هـ : ٣٤٢
٢٧. ديوان كشاجم، ١٩٩٧م: ٤٨٧
٢٨. ديوان ابي العتاهية، ١٩٦٥م: ٥٤٢
٢٩. الثعالبي؛ ١٣٢٦هـ : ٥٠٢
٣٠. ديوان ابن المعتز، ٢٠٠٤م، ج: ٢، ١٦٦
٣١. المصدر السابق: ١١
٣٢. ديوان إبراهيم بن هرمة، لاتا: ٢٠٢-٢٠٣
٣٣. مسالك الأبصار، ١٥: ٢٨٨
٣٤. محمد سليم الجندي؛ لاتا: ٥٠
٣٥. الزوزني، ٢٠٠٤م: ٤٥
٣٦. شرح ديوان امرئ القيس لأبي جعفر النحاس؛ ٢٠٠٠م: ٣١
٣٧. (ديوان امرئ القيس، ٢٠٠٤م: ٤٩ و ٤٨
٣٨. التيفاشي، ١٩٨٠م: ٢١
٣٩. ديوان ابن طباطبا، ٢٠٠٢م: ٧٠
٤٠. الثعالبي، ١٩٨٣م، ٢: ٣٤٠ والعُمري؛ ٢٠١٠م، ١٥: ٢١٩
٤١. ابن ابي العون؛ ١٩٥٠م: ٢٠٧
٤٢. ابن منظور؛ ١٩٩٩م، ج ٣: ١٤٥ مادة ﴿ح ر ن﴾
٤٣. العسكري، ١٩٩٤م: ٣٣٧
٤٤. ديوان التهامي؛ ١٩٨٢م: ١٢٧

٤٥. ورد البيت في ديوان الوأأ الدمشقي (١٩٩٣): ٢٦٢، وشعر ماني الموسوس وأخباره (١٩١٨): ٤٦، وديوان ابن الزيات الوزير محمد بن عبد الملك (لاتا): ٢٥٨ منسوباً إلي ثلاثتهم.
٤٦. ديوان امرئ القيس، ٢٠٠٤م: ٥٠
٤٧. ديوان الأعشي الكبير، لاتا: ٣٢١
٤٨. النويري (٢٠٠٤م، ج ١، ١٣٣) وابن ابي العون ١٩٥٠م: ٢٠٦
٤٩. لسان العرب، ج ١: ٥٠٨ مادة ﴿ش ه ب﴾
٥٠. ابن الأجدابي، ٢٠٠٦م: ٧٩
٥١. ديوان الأرجاني، ١٩٩٨م: ٣١٤
٥٢. ديوان سويد اليشكري، ١٩٧٢م: ٢٥
٥٣. لويس معلوف؛ ١٣٩٢ ش: ٤١٩ مادة ﴿ط ل ح﴾
٥٤. المصدر نفسه: ٢٥٧ مادة ﴿ردي﴾ و ٨٩٢ مادة ﴿وخ د﴾
٥٥. ديوان ابن ابي حصينة، ١٩٩٩م: ٢٠٥-٢٠٦
٥٦. نشوان الحميري، ١٩٩٩م، ج ٥: ٢٧٧٠ مادة ﴿زح ف﴾
٥٧. ابن منظور، ١٩٩٩م، ج ٦: ٢٦، مادة ﴿زح ف﴾
٥٨. المصدر نفسه، ١٢: ٢٩٥ ﴿ل غ ب﴾
٥٩. ديوان حسان بن ثابت، ١٩٩٤م: ٢٥-٢٤
٦٠. ديوان ابن طباطبا، ٢٠٠٢م: ١٤
٦١. لويس معلوف، ١٣٩٢ ش: ١٣٠ ﴿حرن﴾
٦٢. ينظر: معجم الأدباء، ١: ٢٢٦ و شذرات الذهب، ٤: ١٢٧
٦٣. العمري، ٢٠١٠م، ١٤: ٥٩٤
٦٤. ابن منظور، ١٩٩٩م، ١: ٥١٢ ﴿بني﴾
٦٥. ديوان الأعشي الكبير، ٢٠٠٢م: ٨٩
٦٦. ديوان جرير، لاتا، ١: ١٦٣
٦٧. لسان اللسان، ١٩٩٣، ٢: ٤٦-٤٧ ﴿صوم﴾
٦٨. ديوان امرئ القيس، ٢٠٠٤م: ١١٧
٦٩. راجع ديوانه، شرح حنا نصر الحتي؛ ١٩٩١م: ٢٨
٧٠. ديوان النابغة الذبياني، ١٩٩١م: ٢٩

٧١. المرزوقي، ١٩٩٦م: ٤١٩
٧٢. ابن قتيبة، لاتا: ١٤٧
٧٣. ديوان بشر بن ابي خازم، ١٩٩٤م: ٥٩
٧٤. نفس المصدر: ٥٩
٧٥. ابن منظور، ١١: ٦٣ ﴿بلل﴾
٧٦. شروح سقط الزند، ١٩٨٦م، ١: ٣٠٩-٣٠٨
٧٧. نفس المصدر: ٣٠٩
٧٨. ديوان ابن المعتز، ٢٠٠٤م، ١: ٣١
٧٩. نفس المصدر، ٢: ٦٥١
٨٠. ديوان ابن الرومي، ٢٠٠٢م، ١: ٤٤٤
٨١. ديوان ابن نباتة السعدي، لاتا، ٢: ٥٤٦
٨٢. ديوان السري الرفاء، ١٩٩٧م: ٢٦٩
٨٣. ديوان ابن المعتز، لاتا، ٢: ٦١
٨٤. العسكري، ١٩٩٤م: ٣٣٦
٨٥. ديوان مهيار الديلمي، ١٩٢٥م، ١: ٢٦٣
٨٦. ديوان بشار، ١٩٥٤م، ٢: ١٠٤
٨٧. ديوان بشار، نسخة أخرى، ١٩٨١م: ٦١
٨٨. شروح سقط الزند، ١٩٤٥م، ٢: ٧٩٢
٨٩. راجع: نفس المصدر: ٧٩٢
٩٠. ديوان ابن المعتز، لاتا، ١: ٣١
٩١. شروح سقط الزند، ١٩٤٥م، ٢: ٦٥١
٩٢. ديوان مهيار الديلمي، ١٩٢٥م، ٢: ٣٨١
٩٣. ديوان ابن المعتز، لاتا: ٦٨
٩٤. ديوان علي بن الجهم، ١٩٨٠م: ١٧٠
٩٥. ديوان ابن المعتز، لاتا: ٣٣٨
٩٦. ديوان ديك الجن، ٢٠١٣م: ٢٢٩
٩٧. ديوان ابن المعتز، لاتا: ٤١٢
٩٨. نفس المصدر: ١٦٩

٩٩. البلد: ٢٠
١٠٠. الإسراء: ٨١
١٠١. ابن منظور، ١٢٩٨م: ١٧٠.
١٠٢. شرح ديوان فرزدق، ١٩٨٣م، ١: ٤١٨.
١٠٣. العسكري، ١٩٩٤م: ٣٣٦.
١٠٤. ديوان ابي طالب عم الرسول، ١٩٩٤ م: ١٧.
١٠٥. ديوان ثابت قطنة، لاتا: ٥٧.
١٠٦. ديوان ابن المعتز، لاتا: ٢: ٢٩٨.
١٠٧. ابن ابي العون، ١٩٥٠م: ٢٠٨.
١٠٨. ديوان ابن دريد الأزدي، ١٩٤٦م: ١١٨.
١٠٩. ديوان ابي فراس ، ١٩٩٤م: ٢٥٣-٢٥٢.
١١٠. شروح سقط الزند، ١٩٤٥م، ٢: ٧٩٢.
١١١. نفس المصدر: ٧٩٢.
١١٢. نفس المكان: ٧٩٢.
١١٣. ديوان الفرزدق، ١٩٨٣م، ج ١: ٦٠٠.
١١٤. ديوان حارث بن خالد، ١٩٧٢م: ١٢٢.
١١٥. ديوان الأرجاني، ١٩٩٨م: ٣٥٨.
١١٦. شرح ديوان بشار، ١٩٥٤م، ٤: ٤٩.
١١٧. ديوان البحتري، لاتا: ١٦٥١.
١١٨. ديوان ديك الجن، لاتا: ١٦٩.
١١٩. العسكري، ١٩٩٤م: ٣٣٩.
١٢٠. ديوان ابي العتاهية، ١٩٦٥م: ٥٤٢.
١٢١. ديوان ابن المعتز، ٢٠٠٤م: ٢٥٧.
١٢٢. ديوان بشار؛ ٢٠٠٧م، ٤: ٦٠.
١٢٣. نفس المصدر، ٢: ١٠٥.
١٢٤. نفس المصدر، ٤: ٤٩.
١٢٥. نفس المصدر، ٣: ١٣٥.
١٢٦. المصدر السابق، ٤: ٦٠.

١٢٧. ديوان أبي نواس، ١٩٩٨م: ٥٨٨.
١٢٨. ديوان أبي فراس، ١٩٩٤م: ١١٨.
١٢٩. ديوان الأبيوردي، ١٣١٧ هـ: ٢٩٦-٢٩٧.
١٣٠. ديوان عمر بن أبي ربيعة، ١٩٩٦م: ١٧٥.
١٣١. ديوان ابن طباطبا، ٢٠٠٢ م: ٨٤.
١٣٢. ديوان ابن غليون الصوري، ١٩٨١م: ٢١٩.
١٣٣. ديوان المتنبي، ١٩٨٣م: ١٩٤.

قائمة المصادر والمراجع

- إن خير ما ابتدئ به القرآن الكريم.
١. ابن أبي العون، التشبيهات، (١٩٥٠م) تصحيح: محمد عبدالمعيد خان، مطبعة كمبردج.
 ٢. ابن أبي حصينة، الديوان، (١٩٩٩م) سمعه وشرحه ابوالعلاء المعري، تحقيق: محمد سعد طلس، بيروت، دارصادر، الطبعة الثانية.
 ٣. ابن الأجدابي، الأزمنة والأنواع، (٢٠٠٦م)، تحقيق: عزة حسن، المملكة المغربية، دار ابن رقرق للطباعة والنشر، الطبعة الثانية.
 ٤. ابن الرومي، الديوان (٢٠٠٢م) شرح: أحمد حسن بسج، ج٢، بيروت، دارالكتب العلمية، الطبعة الثالثة.
 ٥. ابن الزيات، محمد بن عبد الملك (لاتا)، تحقيق وشرح وتقديم: جميل سعيد.
 ٦. ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٩٨٩) تحقيق: محمود الارناؤوط، دمشق بيروت، دار ابن كثير، الطبعة الأولى.
 ٧. ابن المعتز، الديوان، (٢٠٠٤م)، شرحه مجيد طراد، بيروت، دار الكتاب العربي.
 ٨. ابن دريد الأزدي الإمام أبو بكر؛ الديوان (١٩٤٦م) جمع وتحقيق: محمد بدر الدين العلوي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
 ٩. ابن دريد، جمهرة اللغة (١٩٨٧م)، حققه وقدم له: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دارالعلم للملايين، الطبعة الأولى.
 ١٠. ابن دريد، محمد بن حسن، جمهرة اللغة (١٩٨٨ م)، بيروت، چاپ: اول.
 ١١. ابن طباطبا العلوي الإصبهاني، محمد بن أحمد (٢٠٠٢م) تحقيق: شريف علاونة، الأردن، دار المناهج.

١٢. ابن عَنين ،الديوان(لاتا) تحقيقك خليل مردم بك،بيروت دار صادر.
١٣. ابن غليون الصوري، الديوان(١٩٨١م) تحقيق: مكّي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، بغداد، دار الرشيد للنشر، الطبعة الأولى.
١٤. ابن قتيبة، أدب الكاتب(لاتا)، تحقيق وتعليق: محمد الدّاليّ، بيروت، مؤسسة الرسالة.
١٥. ابن منظور، صاحب لسان العرب، كتاب نثار الأزهار في الليل والنهار(١٢٩٨م) قسطنطينية، مكتبة الجوائب، الطبعة الأولى.
١٦. ابن منظور، لسان العرب(١٩٩٩م)، ج ١ و ٦ و ١٢، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة.
١٧. ابن نباتة السعدي، الديوان(لاتا) دراسة وتحقيق: عبدالأمير مهدي حبيب الطائي.
١٨. أبو العتاهية أشعاره وأخباره(١٩٦٥م) عني بتحقيقها: شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق.
١٩. أبوطالب عمّ النبيّ، الديوان(١٩٩٤م)، جمعه وشرحه: محمد التونجي، دارالكتاب العربي، الطبعة الأولى.
٢٠. أبوفراس الحمداني، الديوان(١٩٩٤م) شرحه: خليل الدويهي، بيروت، دارالكتاب العربي، الطبعة الثانية.
٢١. أبونواس، الديوان(١٩٩٨م) شرحه وضيظ نصوصه وقدم له: عمر فاروق الطباع، بيروت، دار أرقم، الطبعة الأولى.
٢٢. أبوهلال العسكري، ديوان المعاني(١٩٩٤م) شرحه وضبطه: أحمد بسج، بيروت، دارالكتب العلمية، الطبعة الأولى.
٢٣. الأبيوردي، الديوان(١٣٧١هـ)، لبنان، مطبعة العثمانية.
٢٤. إحسان عباس، الوزير، ابوالقاسم الحسين بن علي العالم الشاعر الناصر(١٩٨٨م)، بيروت، دار الشروق، الطبعة الأولى.
٢٥. الأرجانيّ ناصح الدين، الديوان(١٩٩٨م)، تقديم وشرح: قدرى مايو، بيروت، دارالجيل، الطبعة الأولى.
٢٦. الأعشي الكبير ميمون بن قيس(لاتا)، شرح وتعليق: محمد حسين، الأردن، المطبعة النموذجية.
٢٧. امرؤ القيس، الديوان(٢٠٠٤م)، اعتني به وشرحه عبدالرحمن المصطاوي: بيروت، دارالمعرفة، الطبعة الثالثة.

- جماليتة التعبير عن طول الليل في الشعر العربي..... (74)
٢٨. البحتري؛ الديوان (لاتا) عني بتحقيقه وشرحه: حسن كامل الصيرفي، القاهرة دارالمعارف، الطبعة الثالثة.
٢٩. بشار بن برد، الديوان (١٩٥٤م)، شرح وتكميل: محمد بن طاهر عاشور، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر.
٣٠. بشر بن ابي خازم الأسدي، الديوان (١٩٩٤م) تقديم وشرح: مجيد طراد، دارالكتب العربي، الطبعة الأولى.
٣١. التهامي ابوالحسن علي بن محمد، الديوان (١٩٨٢م)، تحقيق: محمد عبدالرحمن الربيع، الرياض، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى.
٣٢. التيفاشي أحمد بن يوسف، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس (١٩٨٠م) هذب محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى.
٣٣. الثعالبي، ثمار القلوب (١٣٢٦م) عني بنشره: محمد أبو شادي، القاهرة، مطبعة القاهرة.
٣٤. الجرجاني عبدالقاهر، الطرائف الأدبية (١٩٢٧م)، تصحيح وتخريج: عبدالعزيز المنيف، القاهرة، لجنة التأليف والنشر، الطبعة الأولى.
٣٥. جرير، الديوان (لاتا) تحقيق: نعمان محمد أمين طه، بيروت، دارالمعارف، الطبعة الثالثة.
٣٦. الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية (٢٠٠١م)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى.
٣٧. حسان بن ثابت، الديوان (١٩٩٤م) شرح: عبدالله المهنا، بيروت، دارالكتب العلمية، الطبعة الثانية.
٣٨. الحموي الرومي، ياقوت، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلي معرفة الأديب (١٩٩٣م)، تحقيق: إحسان عباس، ج١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى.
٣٩. خالد الكاتب، أرق شعراء الغزل العفيف في العصر العباسي (٢٠٠٦م)، تحقيق: كارين صادر، دمشق، منشورات وزارة الثقافة.
٤٠. الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنتر (١٩٩٢م)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، بيروت، دارالكتب العربي، الطبعة الأولى.
٤١. ديك الجن الحمصي، الديوان (لاتا)، تحقيق: أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري، بيروت، دارالثقافة.

٤٢. سويد بن أبي كاهل الشكري، الديوان، (١٩٧٢م)، جمع وتحقيق: شاعر العاشور، العراق، الطبعة الأولى.
٤٣. شرح ديوان الفرزدق (١٩٨٣م) ضبط معانيه وشروحه وأكملها: إيليا الحاي، بيروت، دارالكتاب اللبناني.
٤٤. شروح سقط الزند لأبي العلاء المعري (١٩٤٥م)، ج٢، تحقيق: مصطفى السقاء وآخرين بإشراف طه حسين، الهيئة المصرية للكتاب، الطبعة الثالثة.
٤٥. شعر ثابت قطنة العتكي (لاتا)، جمع وتحقيق: ماجد أحمد السامرائي، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام.
٤٦. شعر عبدالصمد بن المعذل (١٩٧٠م) حققه وقدم له: زهير غازي زاهد، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.
٤٧. شعر إبراهيم بن هرمة القرشي، (لاتا)، تحقيق: محمد نفاع وحسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
٤٨. الصنوبري، الديوان (١٩٩٨ م)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى.
٤٩. العجاج، الديوان (١٩٩٥م) تحقيق: عزة حسن، بيروت دارالشرق العربي.
٥٠. علي بن جهم، الديوان (١٩٨٠م) عني بتحقيقه: خليل مردم بك، بيروت، دارالآفاق الجديدة، الطبعة الثانية.
٥١. عمر بن أبي ربيعة، الديوان (١٩٩٦م) قدم له ووضع هوامشه: فايز محمد، بيروت، دارالكتب العربية، الطبعة الثانية.
٥٢. العمري ابن فضل الله أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار وممالك الأمصار (٢٠١٠م)، ١٤، تحقيق: كامل سليمان الجبوري، بيروت دارالكتب العربية، الطبعة الأولى.
٥٣. فتيان الشاغوري، الديوان (لاتا) تحقيق: أحمد الجندي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
٥٤. كشاجم محمود بن الحسين، الديوان (١٩٩٧م) دراسة وتحقيق: النبوي عبدالواحد شعلان، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى.
٥٥. لسان اللسان، تهذيب لسان العرب (١٩٩٣م) تم تهذيبه بعناية المكتب الثقافي لتحقيق الكتب، إشراف: عبدالله علي مهنا، ج٢، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

جماليتة التعبير عن طول الليل في الشعر العربي..... (76)

٥٦. لويس معلوف، منجد الطلاب (١٣٩٢ هـ.ش) تهران، انتشارات دارالعلم. چاپ پ‌نجم.
٥٧. ماني الموسوس، محمدبن القاسم المصري، شعر ماني الموسوس وأخباره (١٩١٨)، تحقيق: عادل العامل، دمشق، دارإحياء التراث العربي، الطبعة الأولى.
٥٨. المتنبي، الديوان (١٩٨٣م)، بيروت، داربيروت للطباعة والنشر.
٥٩. المحبي محمد الأمين، (٢٠٠٣م) مابعدّ عليه في المضاف والمضاف إليه، تحقيق: محمد حسن عبدالعزيز، القاهرة، الطبعة الأولى.
٦٠. المرزوقي، الأزمنة والأمكنة (١٩٩٦م)، ضبطه: خليل المنصور، بيروت، دارالكتب العلمية.
٦١. مهلهل بن ربيعة؛ الديوان (لاتا)، شرح وتقديم: طلال حرب، الدارالعالمية.
٦٢. النابغة الذبياني، الديوان (١٩٩١م) شرح: حنا نصر الحنّي، بيروت دارالكتاب العربي، الطبعة الأولى.
٦٣. النابغة الذبياني، الديوان؛ (١٩٩١م) اعتني به وشرحه: حمدو طماس، بيروت ، دارالمعرفة ، الطبعة الثانية.
٦٤. النويري ، نهاية الإرب، ٢٠٠٤م ، المجلد الأول، تحقيق: مفيد قميحة، بيروت، دارالكتب العلمية ، الطبعة الأولى.
٦٥. الواو أالدمشقي، محمد بن أحمد الغساني، الديوان (١٩٩٣)، تحقيق: سامي الدّهان، بيروت، دارصادر، الطبعة الثانية.
٦٦. الوليد بن يزيد، الديوان (١٩٣٧م) جمع وترتيب: المستشرق الإيطالي ف.جيربالي، دمشق ، مطبعة ابن زيدون .